الحوار مع أهل الكتاب

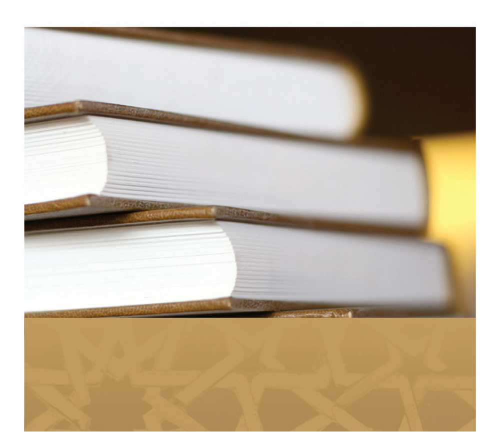
قواعده وموضوعاته

د.أحمد بن عبد اللّه الغامدي

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز

بحوثه :

- أسباب سقوط الشيوعية الماركسية (رسالة ماجستير)
- دليل الحدوث أصوله ولوازمه – عرض ونقد – (رسالة دكتوراه)
- الطعن في الصحابة رضي اللّه عنهم حكمه وآثاره
- عبق الزهر من حديث النهي عن سب الدهر



ملخص البحث

من حكمة الله تعالى أن خلقَ الخير والشر، وجعل الحق في صراعٍ مع الباطل وإن كانت الغلبةُ للحق وأهله، إلا أن النصوص الشرعية أمرت بمجاهدةِ أهل الباطل، ومن طرائق مجاهدتهم كشف شبههم، والرد على باطلهم، وإقامة الحجة عليهم بالبيانِ والبرهان؛ لأن كيدهم لهذا الدين كائن في كل زمان وكل مكان، ويتولى كبر ذلك أهل الكتاب - اليهود والنصارى - ومن ألوان كيدهم في هذه الأزمنة الدعوات المختلفة التي تنادي بـ"التآلف بين الأديان" ولا تآلف إلا عن طريق الحوار، فجاءت هذه الدراسة المختصرة تبيّن مشروعية الحوار معهم، وتظهر في الوقت ذاته أهم أهدافهم التي يسعون لتحقيقها، والتي تتمثل في المحافظة على دينهم، ونشر عقيدتهم، ولهذا اهتمت هذه الدراسة ببيان المنهج الشرعي الذي يجب أن يُسلك عند محاورتهم، وذلك بوضع القواعد التي جاءت بها النصوص، وأرشدت إليها، وحثت على سلوكها، كما كشفت هذه الدراسة عن خلو مؤتمرات الحوار وندواته من أهم الموضوعات التي يجب أن يقع التحاور فيها، فاهتمت بذكر الموضوعات الأساسية التي يجب أن تتضمنها هذه الحوارات، لتؤتي ثمارها، وتحقق الغاية منها.

المقدمة

الحمدُ لله الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن لهُ كفواً أحد، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ خلق الله، محمد بن عبد الله، خير من جاهد في الله بلسانهِ ويده، ففتح اللهُ به قلوباً غلفاً، وآذاناً صماً، كشف الله به الغمة، وأقام به الحجة، وأزاح به الظلمة، وجاء بشريعةٍ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلى الله عليه وعلى آلهِ، وصحبهِ، وعلى من سار على نهجهِ، واقتفى أثره، واهتدى بهديه، إلى يوم يبعثون.

أما بعد: فإن الله تعالى قال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

فهذه حكمة الله تعالى في عباده أن يكونوا مختلفين في معتقداتهم وأديانهم، إلا تلك الطائفة التي اتخذت من الحق والهدى طريقا لها، فتبعت أمر الله تعالى، وأمر رسله عليهم السلام، ومع الإقرار بهذا التنوع والتضاد، فإنه لابد من الصراع بين الحق والباطل، وإن كانت الغلبة للحق وأهله، إلا أن أصحابه مأمورون بمجاهدة أهل الباطل بالنفس والمال، والحجة والبرهان، كما دلت على ذلك النصوص من السنة والقرآن، وهذا أصل أصيل، لا يجوز تركه، ولا الإعراض عنه، ولا الزهد فيه، وذلك من أجل إحقاق الحق، ودفع الباطل، وكشف الشبهة،

ورد الفرية، مقاومة لأعداء هذا الدين وأهله، الذين لن يكفوا أذاهم، ولن يُنال رضاهم حتى يدخلوا الناس في دينهم، وهذه الحقيقة لا تحتاج إلى حوار ولا جدال، ولا إلى كبير عناء في الإثبات والاستدلال. قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

ومن صور هذا الكيد في هذه الأزمنة، الدعوات المختلفة التي تنادي بـ "التقارب" و"التعايش" و"التآلف بين الأديان" وهذا لن يكون إلا عن طريق الحوار، ولا حوار إلا بتقارب الأفكار، وهذا لن يكون إلا بقبول الآخر، وإقرار الانفتاح والتعددية، والتسليم بأنه لا دين يملك كل الحقيقة! فتكاثرت الدعوات التي تطالب بالحوار لإزالة الكراهية وإحلال التعايش والسلام، ونسيان الماضي بما فيه من تصادم وخصام! وإذا كان من المسلّم به أن الدعوةَ للحوار وجدال أهل الكتاب بالتي هي أحسن لا إشكال فيها، ولا غبار عليها، إلا أنه بتأمل كثير من تلك الكتابات والدعوات، يتبيّن أنها في عمومها افتقرت إلى التأصيل الشرعي، وخلطت بين الأمور، وتجنت على النصوص، وبالغت في رد الأصول، وجهلت طريق الوصول، لهذا رأيتُ أن أضع هذه الخطوط العريضة في مسألة الحوار مع أهل الكتاب، لما ذكرتُ، ولكثيرٍ من الأسباب من أهمها:

١- افتقار كثير من الكتابات إلى التأصيل الشرعي لكيفية الحوار مع أهل الكتاب.

٢- إيضاح بعض الأهداف التي يرغب أهل الكتاب في تحقيقها من وراء هذه الحوارات، ليتبيّن المسلم حقيقتهم، وأنه لولا تحقيق مصالحهم المختلفة لما وافقوا عليها، وطالبوا بها.

٣- الإصرارُ من كثير من كتاب ودعاة الحوار - من المسلمين - على أن هذه الحوارات لا علاقة لها بالدين، وأن إقحام الدين فيها إفشال لها.

٤- كثرةُ التأويل للآيات القرآنية المتعلقة بمسألةِ جدال وحوار أهل الكتاب، والتعسف في جذبها بجهل إلى الدلالة على آرائهم وأفكارهم.

٥- كثرةُ وفداحة الآثار السلبية التي ترتبت على فتح باب الحوار مع أهل الكتاب - دون قيد أو ضابط - ومن أبرزها التساهل في كثير من الأصول، ومشاركتهم في بعض الطقوس، تحت مظلة أن الجميع أهل توحيد، ينتمون لإبراهيم عليه السلام، مما لزم معه كشف الحقيقة وإزالة اللبس.

٦- خلو الكتابات والمؤتمرات واللقاءات من الحديث عن الشركِ ووجوب محاربته، وبيان فساد عقائد النصارى في التثليث، والصلب، مع ثبوت بطلانها وفسادها، شرعاً وعقلاً، وباعتراف أهلها، ومع ذلك لا تجد لبيان فسادها ذكراً عند دعاة الحوار وكتابه.

لهذه الأسباب ولما ذكرت قبلها، آثرتُ الكتابةَ في هذا الموضوع، وجعلت عنوان الدراسة "**الحوارُ مع أهل الكتاب قواعدهُ وموضوعاتهُ**" وقد قسمته إلى مقدمةٍ وخمسةِ مباحث، فالمقدمةُ أشرتُ فيها إلى إرادةِ الله تعالى وحكمته التي اقتضت أن يخلق الخير والشر وأن يقع الصراع بينهما، وأن أهلَ الحق مطالبون بنصرتهِ والدفاع عنه، وأشرتُ فيها إلى الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع، ثم كان المبحث الأول عن التعريف ببعض المصطلحات، وأشرت إلى أن بعض العلماء لم يفرق بين المصطلحات المتعلقة بمسألة المناظرة والمحاورة والمجادلة وما في معناها، وبعضهم يرى الفرق، وإن كانوا يرون أن كافة المصطلحات تندرج تحت الحوار ثم يقع التمييز بينها بعدئذ، أما المبحث الثاني فتحدثت فيه بإشارات بسيطة عن مشروعية الحوار مع أهل الكتاب، وبيّنت أن النصوص دالة على جوازه، وأشرتُ إلى الخلاف في مسألة نسخ آية الجدال بآية السيف وبينتُ أن القول بالنسخ ممتنع لعدم وجود الدليل، ولا يصار إلى النسخ أصلا مع إمكان الجمع بينهما، أما المبحثُ الثالث فكان عن أهداف الحوار مع أهل الكتاب، وبينتُ فيه أهداف أهل الكتاب من الحوار، وأن غرضهم منه خدمة عقائدهم، ونشر باطلهم، وجذب الناس إليهم، ومحاولة الحصول على الاعتراف بدينهم، أما المبحث الرابع فكان عن القواعد التي يجب مراعاتها عند حوار أهل الكتاب، حتى يؤتي الحوار ثمراته، ويحقق المسلم من ورائه غاياته، التي ترتبط في أصولها وفروعها بالدعوةِ إلى الله تعالى، والإيمان برسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به، أما المبحثُ الخامس فكان عن موضوعاتِ الحوار مع أهل الكتاب، وبينتُ فيه أهم الموضوعات التي يجب أن يتضمنها الحوار معهم، فمنها ما يُدعون إليه، ومنها ما يتعلق ببيان بطلان عقائدهم وفسادها، ثم كانت الخاتمة وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

وبعد فما هذه الأسطر إلا جهد متواضع، أسهم به في تحقيق جملة من القواعد والمبادئ المأخوذة من الأصول الشرعية، لبيان الطريقة التي ينبغي أن يكون عليها الحوار مع أهل الكتاب، ليثمر ثمراته، ويحقق أهدافه، ويؤجر المطالب به ويسلم مراده، والله أسأل التوفيق والإعانة.

المبحثُ الأول:
التعريفُ ببعض المصطلحات

لا ريبَ في وجود كثيرٍ من المصطلحات التي تُبحث تحت هذا المفهوم - الحوار - خاصة تلك التي يُقصد بها البرهنة على صحةِ الدعوى، أو إقامة الحجة على الغير ونحو ذلك، وهذه إشاراتٌ مختصرة للتعريفِ بمصطلح الحوار وغيره مما هو في معناه:

تعريف الحوار والمحاورة لغة واصطلاحاً:

أصله يرجع إلى حور، يقول "ابن فارس"[1]: الحاء والواو والراء، ثلاثة أصول، ومنها الرجوع، يقال: حارَ إذا رجع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ﴾ [الانشقاق: ١٤-١٥] والحَوْر: مصدر حارَ حوْراً رجع [3].

(١) هو: أحمد بن فارس اللغوي، برع في اللغة، وله العديد من المؤلفات منها :اختلاف النحويين، فقه اللغة، كانت وفاته سنة ٣٩٠ هـ، بالري.

انظر: وفيات الأعيان (١/ ٣٥-٣٦). لابن خلكان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧ م، مكتب التحقيق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (١١٥/٢، ١١٧). تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، دون ذكر لرقم الطبعة.

أما في الاصطلاح: فيقصد بالمحاورةِ المراجعة في الكلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ﴾ [المجادلة: ١].

فمعنى الحوار يرجع إلى الكلام الذي يدور بين طرفين، لذلك قيل في تعريفه: (نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما، بطريقةٍ متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومةِ والتعصبِ) [(١)].

ومما قيل في تعريف المحاورة أنها: (مراجعة الكلام والحديث بين طرفين، ينتقل من الأول إلى الثاني، ثم يعود إلى الأول وهكذا، دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدلُ بالضرورةِ على وجود الخصومة) [(٢)]. وبناء على ما سبق فالمحاورة هي المراجعةُ في الكلام.

تعريف الجدل في اللغة والاصطلاح:

لغة: يذكر "ابن فارس" أن (الجيم والدال واللام أصلٌ واحدٌ، وهو من بابِ استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتداد الخصومة، ومراجعة الكلام) [(٣)].

والجَدَل: اللَّدَدُ في الخصومة، والقدرةُ عليها، يقال: جادلتُ الرجل فجدلته جَدلا أي: غلبته[(٤)]. فالجدال والمجادلة كما هو ظاهر من مدلولها اللغوي تعني المحاورة، ولكن بطريقة يتخللها النزاع وطلب الغلبة في الغالب.

الجدل في الاصطلاح: كثرت الأقوالُ في معنى الجدل اصطلاحاً، ولا غرابة في ذلك لوجودِ هذا المصطلح من عصورٍ متطاولةٍ في القدم - مع مراعاة الاختلاف في مدلوله والغاية منه - فقد تحدث عنه الفلاسفة اليونان، والكلمة اليونانية "دياليجو"ومعناها المحادثة، أو

(١) في أصول الحوار (١١). الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٢) في أصول الحوار (١٢).

(٣) معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٣٣).

(٤) انظر: لسان العرب (١١/ ١٠٣-١٠٥). لابن منظور، دار صادر، بيروت، دون ذكر لرقم الطبعة، أو تاريخها.

المجادلة[١]، ومن معانيها أيضا: الحوار[٢]، المحاجة، فن النقاش[٣].

ومن تعريفات الجدل في الاصطلاح عندهم: (فن الحوار أو البحث عن الحقيقةِ عن طريق السؤال والجواب)[٤].

أو هو: فن الوصول إلى الحقيقة، وذلك عن طريق اكتشاف المتناقضات التي يتضمنها استدلال الخصم[٥].

قلتُ: وهذا الأسلوب نافع جداً في جدال أهل الكتاب ومحاورتهم؛ لأن كثيراً مما يذكرونه عن كتبهم يناقض بعضه بعضاً، بل متناقض في نفسه، وإذا بطل ما يحتجون به ويركنون إليه، بطل كل ما يبنونه عليه.

أما الجدلُ عند المسلمين فقد اهتم به علماء الإسلام دراسة وبياناً، ومن التعريفات الواردة فيه، أنه: (تردد الكلام بين الخصمين إذا قَصَد كلُ واحد منهما إحكامَ قوله، ليدفعَ بهِ قولَ صاحبه)[٦].

وقيل: الجدل (مقاومة الحجة بالحجة)[٧]، وقيل في تعريفه أيضاً: (دفع المرء خصمه عن

---

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة (٢٦٩). محمد قطب، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، دار الشروق.

(٢) انظر: موقف ماركس وأنجلز من الآداب العالمية (٢٩). رمسيس عوض، مكتبة الأنجلو المصرية.

(٣) انظر المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (١٢٧). الدكتور/ عبد الرحمن عميرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢ م، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض.

(٤) الجدل بين أرسطو وكانط (١٣-١٤). د. محمد فتحي عبد الله،الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت. وانظر: منهج الجدل والمناظرة (٦٣-٦٥). ويظهر من مؤلفات "أفلاطون" استخدامه لهذا الأسلوب غالباً، انظر على سبيل المثال: محاورة بروتاجورس (٦١-١٧٢) ترجمة الدكتور/عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، دون ذكر لرقم الطبعة.

(٥) انظر: مذاهب فكرية معاصرة (٢٦٩). وهو تعريف "ستالين" لكلمة " ديالكتيك".

(٦) الفقيه والمتفقه (٥٥١/١) للخطيب البغدادي، تحقيق عادل العزازي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ / دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٤٩/١-٢٥٠). لابن الأثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، دون ذكر لرقم الطبعة.

إفساد قوله: بحجةٍ، أو شبهةٍ، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة) [1].

ويظهرُ أن الجدلَ في أصلهِ أمرٌ مذموم؛ لأن القصدَ منهُ في الغالب إظهار الغلبة، وإفحام الخصم، ولذلك ما ورد في القرآن الكريم إلا مقيداً بأن يكون بالتي هي أحسن.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن بعض الباحثين فرّق بين الجدل والحوار، وذلك بالنظر إلى مدلول كل منهما، فبداية يقال: إن كلا من الجدل والحوار يلتقيان في أنهما حديث أو مراجعة للكلام بين طرفين، لكنهما يفترقان بعد ذلك، فالجدل في الغالب يُقصد به اللدد في الخصومة، والشدة في الكلام، والعناد والتمسك بالرأي، والتعصب له.

أما الحوارُ فهو مراجعةُ الكلام بين الطرفين، دون أن يكون بينهما ما يدل على وجود الخصومة، والقرآن العظيم يدل على هذا الفرق، فيستخدم الجدال في المواضع غير المرضي عنها، أو غير المجدية، بخلاف الحوار[2].

قلتُ: لقد جاءت الآيات الكريمة بلفظ الجدال مع أهل الكتاب، وقيّدته بأن يكون بالتي هي أحسن، وعلى هذا فإن الجدال إذا كان بهذا الوصف، ومن أجل الدفاع عن الحق، ورد الباطل، وإقامة الحجة فهو محمود مأمور به، ولهذا لا غرابة لو قيل عن مؤتمرات الحوار التي تعقد بين المسلمين والنصارى: "الجدال مع أهل الكتاب" فهذا مصطلح شرعي، له ضوابطه وقواعده.

تعريف النظر في اللغة والاصطلاح:

لغة: يقول "ابن فارس" (النون والظاء والراء أصلٌ صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد هو: تأمل الشيء ومعانيه، ثم يستعار ويتسع فيه) [3].

---

(١) التعريفات (١٠٦) الجرجاني، تحقيق الدكتور/عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، عالم الكتب.

(٢) انظر: في أصول الحوار (١٢). الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (١٠٤-١٠٦) خالد بن عبد الله القاسم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض. الحوار آدابه وضوابطه (٢٠-٢٤)، يحيى بن محمد زمزمي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، دار المعالي.

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥/٤٤٤).

والأصلُ في النظرِ من حيث اللغة إما التأمل، وإما أن فيه دلالة على التقابل؛ لأن كل واحدٍ من المتناظرين ينظر إلى صاحبه.

أما تعريفُ النظر في الاصطلاح:

فيقصد به في هذا الجانب التأمل والتفكر للوصولِ إلى نتيجة ما، ويمكن حملهُ على النظرِ في القولِ ودليله لمعرفةِ قبوله أو رده، ولهذا عرّفه إمام الحرمين[1] بقولهِ: (المرادُ بالنظر ههنا فكر القلب وتأمله في حال المنظور ليعرف حكمه... وحقيقة هذا النظر هو التأمل، أو التفكر، أو التدبر، أو الاعتبار، أو الاستدلال، وكل واحد من هذا يصلح أن يكون حداً لما نعنيه بالنظر) [2]. ومن المعلوم أن المناظرة مأخوذةٌ من النظرِ؛ والنظرُ: فكر يطلب به علم أو ظن؛[3] لأن كل واحد من المتناظرين يروم الوصول إلى إظهارِ الصواب - هذا إن كان هدف المتناظرين إظهار الحق - ولهذا قيل المناظرة هي: (النظرُ بالبصيرةِ من الجانبينِ في النسبةِ بين الشيئينِ إظهاراً للصواب) [4].

وجاء في شرحِ الولدية: (هي تردد الكلام بين الشخصين، يقصد كل منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه) [5].

---

(١) الإمام عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، إمام الحرمين، شيخ الشافعية، اهتم بعلم الكلام، فزلت به القدم، إلا أنه في آخر حياته رجح مذهب السلف في الصفات وأقرَّه، كما في العقيدة النظامية، له العديد من المصنفات منها: العقيدة النظامية، الشامل، الإرشاد، الكافية في الجدل، البرهان، وغيرها. انظر عن ترجمته: سير أعلام النبلاء (٤٦٨/١٨-٤٧). للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٢) الكافية في الجدل (١٧). وضع حواشيه خليل المنصور، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان.

(٣) انظر: شرح الكوكب المنير (٥٧/١). لابن النجار، تحقيق الدكتور/ محمد الزحيلي، والدكتور/ نزيه حماد، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م، مكتبة العبيكان الرياض، السعودية، إرشاد الفحول (١٣/١) للشوكاني، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، مكتبة الباز، مكة المكرمة، السعودية.

(٤) التعريفات (٢٨٧).

(٥) شرح عبد الوهاب بن حسين الآمدي على الولدية في آداب البحث والمناظرة (٧). مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١م.

ومما يجب التنبه له أن بعض العلماء فرّقَ بين المناظرةِ والمجادلةِ، واعتبر أن المقبولَ من هذين الأمرين هو المناظرة لا المجادلة، وذلك لأن الجدالَ عند هؤلاء ضربٌ من إلزامِ الخصمِ وكسره، وإظهار الغلبة عليه، بعيداً عن مسألةِ الحقِ والصوابِ من عدمهِ. يقول صاحب الولدية: (والمناظرةُ في العرفِ هي المدافعة ليظهر الحق) [1].

قال الشارح - بعد أن بيّن معنى المناظرة وأن المقصود منها إظهار الحق مطلقاً -: (وهو احتراز عن الجدلِ فإنه مدافعة لإسكات الخصم؛ لأن كلا من المجادلين يريد حفظ مقاله، وهدم مقال خصمه، سواء كان حقاً أو باطلاً) [2].

والرأي الآخر لا يفرق بينهما، بل يجعل المجادلة والمناظرة شيئاً واحداً، وأن الفرقَ إنما يقع بسبب الاشتقاق اللغوي ليس إلا، وممن ذهب إلى هذا القول "الجويني" حيث يقول: (ولا فرق بين المناظرةِ والجدال والمجادلة والجدل في عرف العلماء بالأصولِ والفروع، وإن فرق بين الجدل والمناظرة على طريقة اللغة؛ وذلك أن الجدلَ في اللغةِ مشتقٌ من غير ما اشتق منه النظر)[3].

وعلى هذا فالمعنى الاصطلاحي فيه معنى التناظر الذي هو التقابل، سواء بين الأشخاص، أم بين الأدلة، وفيه معنى الانتظار، حيث ينتظر كل واحد من الطرفين صاحبه ليتم كلامه، وفيه معنى التأمل، حيث يتأمل كل واحدٍ منهما في كلامهِ وكلامِ مناظره، حتى لا يقع في الخطأ[4].

تعريف المراء لغة واصطلاحاً:

لغة: يطلق على الذهابِ والمجيء والتردد، جاء في اللسان: (مار يمور موراً، إذا جعل يذهب ويجيء ويتردد... والمماراة المعارضة) [5].

---

(١) شرح الولدية (٧).

(٢) المرجع نفسه (٧).

(٣) الكافية في الجدل (١٧- ١٨).

(٤) انظر: منهج الجدل والمناظرة (١ / ٣١). الدكتور/ عثمان علي حسن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٠م، دار أشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

(٥) لسان العرب (٥/ ١٨٦). باب الراء، فصل الميم.

أما في الاصطلاح: فيعرفه "الجرجاني"[١] بقولهِ: (طعنٌ في كلامِ الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير) [٢].

ويظهر من تعريف "الجرجاني" أن المراءَ يكون في كل أحيانهِ مذموماً.

والمقصود أن المصطلحات التي تدل على معنى الحوار كثيرة ومتعددة [٣]، وقد فرّق بعض العلماء والكتاب بينها، وقال بعضهم إنها من قبل المترادفات[٤]، وبعضهم وإن حَكَمَ بالفرقِ بينها إلا أنه يرى أن الحوار يشمل الأنواع المذكورة؛ لأنها تشترك معه في مراجعةِ الكلام وتداوله بين طرفين، فهي تدخل في معنى الحوار من هذه الجهة، ثم تفترق بعد ذلك في دلالة كل منها على أمر يميزه عن الآخر[٥].

قلتُ: ومما يتعيّن ذكره أن الجدلَ نوعٌ من أنواع الحوار، إذا كان في الجانبِ المحمود منه، كما حددته وقيدته الآية الكريمة ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وهذه إشارة مختصرة لمسألة مشروعية الحوار مع أهل الكتاب، من خلال هذه الآية الكريمة وغيرها من النصوص.

---

(١) علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، له باع في العربية، له العديد من المؤلفات منها: شرح مواقف الإيجي، شرح السراجية، في الفرائض، التعريفات، ولد سنة ٧٤٠هـ، ومات سنة ٨١٦هـ بشيراز. انظر: الأعلام (٥ / ٧). خير الدين الزركلي، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

(٢) التعريفات (٢٦٢). وانظر عن المراء مفهومه، وحكمه، وأسبابه، وآثاره، وموقف العلماء منه، وطرق علاجه والوقاية منه، كتاب: المراء في الدين (٢٥) وما بعدها. الدكتور /محمد بن عبد العزيز العلي، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

(٣) يذكر بعض الباحثين من هذه المصطلحات: المخاطبة، المباحثة، المراجعة، المطارحة، المعارضة، المناقضة، المداولة، المداخلة، وغيرها. انظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام (٦٩). الدكتور / طه عبد الرحمن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، المركز الثقافي العربي، الدار البضاء.

(٤) انظر: منهج الجدل والمناظرة (٣٢/١ - ٣٣). الحوار مع أهل الكتاب (١٠٦). الحوار آدابه وضوابطه (٢٨).

(٥) انظر: الحوار آدابه وضوابطه (٣١). بتصرف.

المبحثُ الثاني: مشروعية الحوار مع أهل الكتاب

ورد في النصوص الشرعية ما يدل على ذم الجدل[1] وسوء عاقبته، غير أنه ورد في بعض النصوص ممدوحاً ويُثنى على صاحبه، ولا ريب أن هذا يدل على التغاير بين الأمرين، والفصل في ذلك أنه عند الإطلاق، وإرادة الباطل، ورد الحق، يكون مذموماً، قال تعالى: ﴿ مَا يُجَـٰدِلُ فِيٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر: ٤]. وقال جل وعلا: ﴿ وَجَـٰدَلُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ [غافر: ٥]. وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحج: ٨].

أما إن قُيدَ الجدال وكان من أجل الدعوة إلى الله تعالى، ودفع الباطل، وبيان الحق، والانتصار له، فهو محمودٌ مأمورٌ به، إما على سبيل الوجوب، أو الاستحباب، حسب مقتضى الحال.

ومن الأمثلةِ على ذلك قوله جل وعلا: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

---

(١) استخدمت الجدل هنا لورود اللفظة في النصوص، ولأن العلماء - المتقدمين خاصة - كانوا يعبرون بلفظ الجدل، والمجادلة، والمناظرة، وقد أشرت من قبل إلى أن الجدل نوع من أنواع الحوار، فليتنبه.

وبهذا القيد، بل القيود - الدعوة والحكمة والموعظة الحسنة - يتبيّن أن الحوارَ أو الجدال مع أهل الكتاب أمرٌ مشروع، ومما يدل على ذلك ويُرغب فيه، أنه ﷺ فعله(١) وطلبَ من أمتهِ جهاد الأعداء، باللسان والقلب والمال، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " ما من نبي بعثهُ اللهُ في أمةٍ قبلي إلا كان له من أمتهِ حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تَخلُفُ من بعدهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"(٢).

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"(٣).

وقد بيّن العلماء من خلال تلك النصوص أن الجدلَ ينقسمُ إلى قسمين والحكم عليه إنما يكون بحسب الغاية منه. يقول "إمام الحرمين": (من الجدل ما يكون محموداً مرضياً، ومنه ما يكون مذموماً محرماً، فالمذموم منه ما يكون لدفع الحق، أو تحقيق العناد، أو ليلبس الحق بالباطل، أو لما لا يطلب به تعرف ولا تقرب؛ أو للمماراة وطلب النجاة والتقدم، إلى غير ذلك من الوجوه المنهي عنها، وهي التي نص الله سبحانه في كتابه على تحريمها، فقال: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ ﴾ [الزخرف: ٥٨]... وأما الجدالُ المحمود المدعو إليه، فهو الذي يحق الحق، ويكشف عن الباطل، ويهدف إلى الرشد، مع من يرجى رجوعه عن الباطل إلى الحق، وفيه قال سبحانه: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) انظر: تاريخ الجدل (٤٩). وما بعدها محمد أبو زهرة، لطبعة الأولى، دار الفكر العربي.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٢٧). كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان.

(٣) رواه الدارمي (٢/٢١٣) كتاب الجهاد،باب في جهاد المشركين باللسان واليد. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وقال الألباني: إسناده صحيح، انظر مشكاة المصابيح (٢/١١٢٤) حديث رقم (٣٨٢١). الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، المكتب الإسلامي،بيروت. يقول "ابن حزم" بعد أن ذكر الحديث: (وهذا حديث في غاية الصحة، وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها، كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله). الإحكام (١ / ٢٩). تحقيق لجنة من العلماء، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، دار الجيل، بيروت، لبنان.

ومما يجبُ ذكرهُ والإشارةُ إليه أن بعض الناس منع من الحوار والجدال، مستنداً إلى بعض النصوص، كقوله جل وعلا: ﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشورى: ١٥-١٦].

وقد أجاب "ابن حزم" عن ذلك بقوله: (وهذه الآية مبينة وجه الجدال المذموم... فيمن يحاج بعد ظهور الحق، وهذه صفة المعاند للحق، الآبي من قبولِ الحجةِ بعد ظهورها، وهذا مذموم عند كل ذي عقلٍ... ووجدناه تعالى قد قال: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥] فكان تعالى قد أوجب الجدال في هذه الآية، وعلّم فيها تعالى جميع آداب الجدال كلها، من الرفق والبيان، والتزام الحق، والرجوع إلى ما أوجبته الحجة القاطعة) [(١)].

ويذهب "ابن حزم" إلى وجوب المناظرة والجدال، ولكن بضوابطه وشروطه، فيقول في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فأمر عز وجل كما ترى بإيجاب المناظرة في رفق، وبالإنصاف في الجدال، وترك التعسف، والبذاء، والاستطالة، إلا على من بدأ بشيء من ذلك، فيعارض حينئذ بما ينبغي) [(٢)].

ثم إنه قد وقع الخلاف في مسألة نسخ آية الجدال لأهل الكتاب بآيات القتال، فذهب بعض العلماء إلى أنها محكمة في جهةِ العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين[(٣)].

أما الرأي الآخر فهو القائل بمنع النسخ للآية، إذ لا دليل على ذلك، ولا يصار إلى القولِ

(١) الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٢١- ٢٢)

(٢) الإحكام (١/ ٢٣-٢٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ١٧٧). تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. وانظر: زاد المسير (٤ / ٥٠٦). ابن الجوزي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م المكتب الإسلامي، بيروت، وذكر أن بعض علماء التفسير قالوا بذلك.

بالنسخِ إلا بدليل، ولا دليل هنا. يقول "الطبري"[(١)]: (لا معنى لقول من قال: نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال، وزعم أنها منسوخة؛ لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر، ولا دلالة على صحته من فطرة عقل) [(٢)]. ويقول: (إنه لا يجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ إلا بحجةٍ يجب التسليم لها من خبر، أو عقل) [(٣)].

كما بيّن شيخ الإسلام بطلان القول بنسخِ آية المجادلة لأهلِ الكتابِ، ومما قاله: (إن من الناس من يقول: آيات المجادلة والمحاجة للكفار منسوخات بآية السيف، لاعتقاده أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة، وهذا غلط، فإن النسخ إنما يكون إذا كان الحكم الناسخ مناقضا للحكم المنسوخ... فأما مع إمكان الجمع بين الجدال المأمور به والقتال المأمور به، فلا منافاة بينهما، وإذا لم يتنافيا، بل أمكن الجمع لم يجز الحكم بالنسخ، ومعلوم أن كلا منهما ينفع حيث لا ينفع الآخر، وأن استعمالها جميعاً أبلغ في إظهار الهدى ودين الحق) [(٤)] ثم ذكر العديد من الوجوه التي تدل على ذلك وتبيّنه[(٥)]، ومما ذكره أن المشرك المستجير إذا طلب أن يسمعَ كلام الله تعالى مُكن من ذلك، حتى يسمعه سماعاً يتمكن معهُ من فهم معناه، لتقوم حجة الله تعالى عليه[(٦)]، وكذلك فإن رسولَ الله ﷺ قد سمعَ من وفد أهل نجران، مع أن الجهادَ مأمورٌ به[(٧)]، ثم إنه من المعلوم أن القتال إنما شُرع للضرورةِ، ولو أن الناسَ آمنوا بالآيات، لما احتيج إليه، فبيان آيات الإسلام وبراهينه واجب مطلقاً وجوباً أصلياً، وأما الجهادُ فإنما شُرِعَ للضرورة، فكيف يكون هذا مانعاً من ذلك[(٨)].

---

(١) الإمام الحافظ الثقة المجتهد محمد بن جرير أبو جعفر، كان فقيها عالما بالسنن، من مصنفاته: تاريخ الأمم والملوك، التبصير في معالم الدين، ولد سنة ٢٢٤هـ / ومات سنة ٣١٠هـ، انظر عن ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٤ / ٢٦٧- ٢٨٢).

(٢) جامع البيان (م/١١/ج/٢١/٣). دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، دون ذكر لرقم الطبعة.

(٣) المرجع نفسه، ذات المجلد، والجزء، والصفحة.

(٤) الجواب الصحيح (١/٧٣-٧٤). تحقيق مجدي قاسم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، مكتبة البلد الأمين، جدة.

(٥) انظر: الجواب الصحيح (١ / ٧٤ - ٨٧).

(٦) انظر: المرجع نفسه (١/ ٧٤ - ٧٥).

(٧) انظر: المرجع نفسه (١ / ٧٥).

(٨) انظر الجواب الصحيح (١ / ٨٣).

ولهذا فإن علماءَ الإسلام قاموا بمحاورة أهل الكتاب، وإقامة الحجة عليهم[1]، وهذا أصل لا يترك، فعله رسول الله ﷺ، وصحابته ﵃، من بعده. يقول "ابن القيم"[2]: (والمقصود أن رسول الله ﷺ لم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن تُوفي، وكذلك أصحابه من بعده، وقد أمر اللهُ سبحانه بجدالهم بالتي هي أحسن في السور المكية والمدنية، وأمرهم أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة، وبهذا قام الدين، وإنما جعل السيفُ ناصراً للحجة، وأعدلُ السيوف سيفٌ ينصرُ حُججَ الله وبيناته، وهو سيفُ رسوله وأمته) [3].

وإذا تقرر هذا فإن محاورةَ ومجادلةَ أهل الكتاب جائزةٌ، بل مستحبة، بل واجبة (إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم، ولا يهربُ من مجادلتهم إلا عاجزٌ عن إقامةِ الحجة، فليول ذلك إلى أهله، وليُخَل بين المطيِّ وحاديها، والقوس وباريها) [4].

والمقصود أن القولَ بجواز حوار أهل الكتاب أمرٌ جاءت به النصوص، بل دعت إليه ورغبت فيه، إن كانت الغاية والقصد منه رد الباطل، وإظهار الحق، لذلك اهتم علماء الإسلام بوضع الآداب والضوابط والشروط الخاصة بالمجادلة والحوار.

ومن المعلوم أن شرط المحاور من أهل الكتاب هو عدم الظلم، كما بيّنته الآية

---

(١) انظر على سبيل المثال: زاد المعاد (٥٥٩/٣-٥٦١) ابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥ / ٢٠٠٥م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. التفسير الكبير (٢٤٦/٣-٢٤٧). للرازي، تحقيق دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٢) الإمام الحافظ لازم شيخ الإسلام وأخذ عنه كثيرا، فهو شيخ الإسلام الثاني، كان فقيهاً، عالماً بالأصول والتفسير والحديث، من مصنفاته: مدارج السالكين، زاد المعاد، الصواعق المرسلة، ولد سنة ٦٩١هـ / ومات سنة ٧٥١هـ،

انظر: شذرات الذهب (٦ / ١٦٨-١٧٠). ابن العماد الحنبلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٣) زاد المعاد (٣ / ٥٦١).

(٤) زاد المعاد (٣ / ٥٥٨ — ٥٥٩).

الكريمة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

قال المفسرون: إن الذين ظلموا يُواجهون حسب حالهم،[١] وهم الذين حادوا عن وجه الحق، وعموا عن واضح المحجة، وعاندوا وكابروا،[٢] وقيل: هم الذين قالوا بإثبات الولد لله تعالى، وقالوا: ثالث ثلاثة، فهم الظالمون؛ لأن الشرك ظلم عظيم، فهؤلاء يُجادلون بالأخشن من تهجينِ مقالتهم، وتبيين جهالتهم،[٣] ثم إن هؤلاء ينتقل معهم من الحوار والجدال إلى القتال، وليس المقصود الامتناع مطلقاً عن حوار الظالمين منهم، فإن رسول الله ﷺ، حاورهم وجادلهم، رغم ظلمهم ومكرهم، وكتمهم للحق، وكذلك فعل علماء الأمة وسلفها الصالح، فقد حاوروا وجادلوا الظلمة من أهل الكتاب[٤].

ثم إن الله تعالى قال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] والآية صريحة في المقصود، فيدخل في ذلك أهل الكتاب وغيرهم، ومما قالهُ المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ أي: إلى شريعة ربك، التي شرعها لخلقه، وهي الإسلام[٥].

يقول "الرازي"[٦]: (واعلم أنه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٧ / ٤٢). محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث، بيروت.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣ / ٤١٦ -٤١٧). ابن كثير، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا.

(٣) التفسير الكبير (٢٥ / ٦٧).

(٤) انظر: الحوار آدابه وضوابطه (٧٤). بمرجعه.

(٥) انظر: جامع البيان (م/ ٨ ج ١٤/ ١٩٤).

(٦) العلامة فخر الدين الرازي، بدت من بعض مؤلفاته بلايا، الله يعفو عنه، فقد توفي على طريق حميدة، والله يتولى السرائر، له العديد من المؤلفات، منها: المطالب العالية، المباحث المشرقية، ولد سنة ٥٤٤هـ، ومات سنة ٦٠٦ هـ،

انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠٠ – ٥٠١).

وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالطريق الأحسن، وقد ذكر اللهُ تعالى هذا الجدل في آيةٍ أخرى فقال: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] ولما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاثة وعطف بعضها على بعض وجب أن تكون طرقاً متغايرة متباينة) [(١)].

ويقول "أبو السعود"[(٢)] في قوله تعالى: ("بالحكمة" أي: بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة، "والموعظة الحسنة" أي: الخطابيات المقنعة، والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم..." وجادلهم" أي: ناظر معانديهم، "بالتي هي أحسن" بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين، واختيار الوجه الأيسر، واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم وإطفاء للهبهم...) [(٣)].

وقيل: المراد بالتي هي أحسن: أي جادلهم بالقرآن. وقيل: أي جادلهم بلا إله إلا الله. وقيل: جادلهم غير فظ ولا غليظ، وألن لهم جانبك[(٤)].

قلتُ: ولا مانع من حمل قوله تعالى: ﴿ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ على كافة هذه المعاني وغيرها مما في معناها، فإنه لا تعارض بينها.

ومما سبق يتبيّن أن الآيات الكريمة جاءت تحثُ على الدعوةِ إلى الله تعالى، بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، وبيّنت أن الحوار والجدالَ مع أهل الكتاب يكون بالتي هي أحسن، وتبيّن أيضا أن آية الجدال محكمةٌ غير منسوخةٍ، لذلك فإنه لا عبرةَ بقولِ من يقول: إن الحوارَ معهم لا فائدة منه، بل الذي يجب قوله إن هذا الحوار يحتاج إلى تأصيلٍ وضوابطٍ، وفهم ودراية، تُستقى من نصوصِ الكتاب والسنة، وحينئذٍ فلا حرج على المسلم القادر من محاورتهم، بل

---

(١) التفسير الكبير (٢٠ /١١١).

(٢) هو محمد بن محمد بن مصطفى، شاعر مفسر من علماء الترك، ولد قرب القسطنطينية، وولي القضاء، له عدة مؤلفات منها: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وتحفة الطلاب، قصة هاروت وماروت، ولد سنة ٨٩٨هـ ومات سنة ٩٨٢ هـ. انظر عن ترجمته :شذرات الذهب (٨ / ٣٩٨ – ٤٠٠). الأعلام (٧/ ٥٩).

(٣) إرشاد العقل السليم (٤/٣٩٥).

(٤) انظر: زاد المسير (٤/ ٥٠٦).

يكون الحوار معهم حينذاك مأمور به، لإبطال شبههم، وإقامة الحجة عليهم، وعلى المحاور المسلم أن يكون مع النصوص الشرعية لا يتجاوزها، ولا يحيد عن دلائلها، يتنقل بين أنوارها وتحت ظلالها، عندئذ وعندئذ فقط، يسوغ الحوار مع أهل الكتاب، تحقيقاً للهدف والغاية، فغاية المسلم وهدفه من حواره مع أهل الكتاب دعوتهم لعبادة الله وحده لا شريك له، ووجوب إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته في كل ما جاء به، ومما يجب على المحاور المسلم أن يكون على يقين دائم أن دعوة أهل الكتاب للحوار ومطالبتهم به، وموافقتهم عليه، إنما هي لأجل تحقيق أهدافهم، وخدمة عقائدهم، وتحقيق مآربهم.

المبحثُ الثالث: أهداف أهل الكتاب من الحوار

إذا تقرر أن هدف المحاور المسلم وغايته من حواره لأهل الكتاب دعوتهم لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، والإيمان برسوله ﷺ، ووجوب اتباعه وتصديقه في كل ما جاء به، فإن أهل الكتاب يسعون إلى تحقيق أهدافهم وغاياتهم من وراء المطالبة بهذه الحوارات، أو استجابتهم للدعوات المطالبة بها، وبتأمل موقف أهل الكتاب تجاه هذه الحوارات يظهر التباين الواضح بينهم في القبول بها أوردها، فمن يؤيدها ويدعو إليها إنما يسعى إلى تحقيق ما يخدم مصالحهم ويساعد في نشر عقائدهم، ومن يردها ويأبى الاستجابة لها، فلخوفه على عقيدته؛ لأنها لن تصمد أمام الحق والهدى، الذي سيأتي عليها من جذورها، ومما يجب التنبيه عليه والإشارة إليه أن موقفَ اليهود من الحوارِ مع المسلمين غير واضح، بل يظهر أنه غير مرحب به من قبلهم؛ لأنهم يرون في نفوسهم الشعب الأفضل،[1] وأنهم لن يستفيدوا من هذه

(١) انظر: اليهود في القرآن (٤٢-٤٤) عفيف عبد الفتاح طبارة، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م، دار العلم للملايين،بيروت. وبيّن أن الأفضلية والخيرية إنما هي لأمة محمد ﷺ. انظر: المرجع نفسه (٤٤). اليهود والتحالف مع الأقوياء (٤٥) وما بعدها. الدكتور/ نعمان السامرائي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، قطر. وذكر مجموعة من الأقوال الواردة في أفضلية اليهود على غيرهم، ومن أدبياتهم قولهم: "عام عولام" الشعب الأزلي، وقولهم" عام نيصح " الشعب الأبدي.
==

الحوارات جديداً في دينهم، وهم يرون فيه - رغم بطلانه - السبب الذي حافظ على بقائهم ووجودهم،[١] ولهذا فلا غرابة ألا يقبلوا بالحوار أو يخافونهُ - خاصة مع المسلمين - لأنه ربما جرّ إليهم وعليهم ما لا يرضونهُ.

وهذه إطلالةٌ مختصرةٌ على بعض الأهداف التي يرغب المؤيدون للحوار من أهل الكتاب تحقيقها - مع ملاحظة أن بعض الأهداف مشتركة بينهما -.

بعض أهداف اليهود من الحوار

١- يرون أن الحوار والتقارب مع الديانات الأخرى وسيلة من وسائل نشر الدين والأخلاق ذات الأصول اليهودية في العالم الوثني، وهذا ما ذكره المفكر اليهودي "فرانز روزينفيج"، ويرى المفكر اليهودي "مارتن بوبر" أنه لا خلاص بدون اليهودية والنصرانية[٢].

٢- ومما يهدف إليه دعاة الحوار والانفتاح على الآخرين مسألة اقتناع الأتباع بأفضلية ما هم عليه من دين على الأديان الأخرى، وهذا ما ذكرهُ الحاخام "أبراهام فلدمان" وقال: إنه يجب اعتبار الحوار وسيلة ناجحة لتحقيق يقظة الشباب اليهودي، وعودته إلى اليهودية عن طرق تعريفهم بتراث الآخرين ومقارنته بالتراث اليهودي[٣]. ولأجل ذلك تجدهم يحرصون على هذا الأمر بصورة واضحة. يقول الحاخام "جاري م. بريتون"[٤]: (إن خطوتنا الأولى من أبسط ما يكون، هي أن نفتح أبوابنا، وأن نمد أيدنا، وأن نستقبل إخوتنا المسلمين

==

انظر المرجع نفسه (٥٢). ونقل بعض الأقوال في بيان حقيقة هذه النفسية وان مصدرها الحسد، والعجز.
انظر: المرجع نفسه (٥٣-٥٤).

(١) تقول " غولدا مائير": (لست متدينة، ولكني أعلم بأنه لولا الدين لاختفينا من الوجود) تكوين الصهيونية (٢٤٥) نقلاً من كتاب: اليهود والتحالف مع الأقوياء (٤٢ -٤٣).

(٢) انظر: الموقف اليهودي والإسرائيلي من الحوار مع المسيحية والإسلام (٢٠-٢١). الدكتور/ محمد خليفة حسن، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢م، دون ذكر لرقم الطبعة.

(٣) انظر: الموقف اليهودي (٢٣).

(٤) مدير قسم شؤون ما بين الأديان في اتحاد الجمعيات الأمريكية اليهودية.

والمسلمات بالترحاب. وعندئذ علينا أن نتعلم ما يتعلق بالعالم الإسلامي، والعقيدة الإسلامية، وأن ندخلها إلى تراثنا الغني. ومعنى هذا أن نتعلم أعيادهم وتقويمهم وتعاليمهم الأولية وآمالهم الدينية، وأن نطلعهم كيف نمارس عقيدتنا وأعيادنا وتقويمنا وتراثنا. وكلما تفحصنا أوجه التشابه، وأدركنا وقدرنا أوجه الخلاف، وجدنا اهتماماتنا المشتركة، وتعرفنا على ما يؤذي بعضنا البعض. وبعد أن تكون هذه المهام قد وضعتنا بكل معناها على الطريق فعندئذ فقط يمكننا أن ندخل المسائل السياسية في الحوار. إذ بدون هذا الشرط الأساسي - ألا وهو الفهم المتبادل لتراث كلٍ منا - فإن المناقشات السياسية قد تنتهي إلى كلام منمق وغوغائية. يحدونا الأمل أن يؤدي استخدام هذا الكتاب[(١)] إلى قيام الحوار بين الأمريكان المسلمين والأمريكان اليهود. ونصلي من أجل أن يقرب هذا المشروع بيننا وبين إخوتنا المسلمين والمسلمات، وبالتالي يؤدي إلى إيجاد عالم أكثر سلاماً وانسجاماً، وهو العالم الذي أمرنا الله الواحد بأن نحققه)[(٢)].

٣- أن الحوار سيكون طريقاً للاعتراف بدين اليهود وإقرارهم عليه، بل إن دعاة الحوار منهم يرون أنه سيؤدي إلى ازدهار اليهودية بين أهلها، كدين معترف به لدى المسلمين[(٣)]. وقد تحقق لهم قدرٌ كبيرٌ مما أرادوا، ولا أراني مبالغاً لو قلتُ بل أكثر من ذلك، فتجد بعض الكتاب والباحثين من المسلمين ممن اختلطت عليه الأمور، يقول: (حوار أهل الأديان عندما يسود بينهم منطق أنا وأنت، تصبح مسميات الأديان اليهودية والمسيحية والمحمدية "الإسلام"، وعندما يقبلون بسيادة منطق نحن يصبح الجميع إبراهيميين "الإسلام")[(٤)]. ويقول: إن هذه الحوارات تهدف إلى إيجاد لغة للحوار توحد(بين الشعوب بمختلف دياناتهم

---

(١) شالوم / السلام. أسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية. وهو من مؤلفي الكتاب. انظر: دعوة التقريب بين الأديان (٢ / ٦٠٨). هامش رقم (٢).

(٢) شالوم (٥٤). نقلاً من كتاب: دعوة التقريب بين الأديان (٢ / ٦١١). ويقول الحاخام أندريا ل. ويس: (طالما أن بعضنا يعلم البعض الآخر ممارساتنا واهتماماتنا الدينية، فإن الحوار سوف يؤدي إلى سبل كثيرة لإمكانات إسداء العون والترابط). دعوة التقريب (٢/ ٦٢١).

(٣) الموقف اليهودي (٤٩).

(٤) منطق الحوار بين الأنا والآخر (٥٠). الدكتور/ عقيل حسين عقيل، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.

وحضاراتهم ولا تفرق بينهم، من أجل أن يعم السلام أرجاء المعمورة، وتفتح الأبواب بين الشعوب للتواصل والتقارب الذي يطوي صفحات الخلاف عبر التاريخ...)[(١)]. فماذا يريد يهود أكثر من هذا الإقرار والاعتراف لهم بدينهم، فليت هؤلاء يعلمون، بل ليتهم يعقلون. ويزيد ذلك وضوحاً.

٤- أن مما يهدفون إليه من الدعوة إلى الحوار والموافقة عليه، المطالبة بالتخلي عن فكرة انفراد دين معين بالحقيقة الكاملة المطلقة، واستبعاد لفظة أن هذا حق والآخر باطل، ومن ثم الدعوة إلى مساواة الإسلام بهذه الأديان المحرفة. ومن خطوات تحقيق ذلك، الزعم بأن الحوارات القائمة على التراث الديني لا توصل إلى وفاق (وإنما تدعو إلى الجدل والنزاع، وعلى زعماء الدين تجاوزها، وسرعة إثناء أتباعهم وأنفسهم عن الاقتناع بأنهم وحدهم الذين لديهم الحقيقة المطلقة الفريدة، وأن يتحركوا قدماً إلى قضايا أخرى) [(٢)]. وهذا الرأي هو ما يعبر به بعض النصارى إذ يرون (أن المشكلة تبدو خطيرة تماماً إذا قبل... الشخص تعريفاً لحقيقة دينية على أنها مطلقة وثابتة وتنتمي إلى تراث ديني واحد) [(٣)]. وفي ظل الإقرار بوجود العقائد المختلفة يرون أن (عبارة الاحترام المتبادل هي المفتاح في عالم الحوار، وليست عبارة حق أو باطل) [(٤)]. وكذبوا فيما زعموا. قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٥- ومن أهدافهم مواجهة انتشار الإسلام وتزايد أعداد المسلمين، مما يجعل فتح باب الحوار معهم في غاية الأهمية، وخاصة في أكثر الدول مدافعة عن اليهود وخداعهم" أمريكا". وقد ذكر "جوناثان د. سرنا" أن المشكلة التي تواجه اليهود والنصارى في أمريكا هي النمو السريع للديانات التي لا تنتمي إلى النصرانية أو اليهودية، ويقصد الإسلام؛ لأنه من أسرع الديانات نمواً في الولايات المتحدة، ولهذا فهو يستحق عناية خاصة، لاسيما في ظل

(١) منطق الحوار بين الأنا والآخر (٨٤).

(٢) نقلا من دعوة التقريب (٢ / ٦٢٢).

(٣) دعوة التقريب بين الأديان (٢ / ٦٢٣).

(٤) المرجع نفسه (٢ / ٦٢٣).

العداوة التي تكنها الطائفة المسلمة تجاه إسرائيل[١]. ويذكر أيضاً أن الصورة الحالية للديانة الأمريكية سوف يتحتم أن تتغير لكي تنسجم - أكثر مما هي عليه الآن - مع الحقائق الإحصائية؛ لأن اليهود ربما وجدوا أنفسهم موضوعين على قدم المساواة لا مع النصارى فحسب، بل مع المسلمين، وما لم يأت جيل جديد من الزعماء الدينيين من نطاق عقيدة أكثر رحابة، لهم القدرة على الدخول في دقائق الحوار الديني، فسوف يكون من الصعوبة بمكان إحراز أي تقدم لتحقيق النفع والمصلحة[٢].

٦- ومن الأهداف التي يرى الجانب اليهودي - الموافق على الحوار - تحقيقها محاولة الحصول على آراء تؤيد منع الجهاد ضد الأعداء، ومن ذلك أن وزارة الخارجية الإسرائيلية كانت وراء الاقتراح بقيام الحاخام الأكبر بزيارة لمصر ومقابلة شيخ الأزهر، وكان من أهداف هذه الزيارة محاولة مواجهة (الأعمال الاستشهادية التي قام بها الفلسطينيون في القدس... وكان هدف هذا الاقتراح الحصول على فتوى دينية من زعماء العالم الإسلامي الدينيين بأن الأعمال الاستشهادية معارضة للدين، وأنها تؤدي إلى قتل أبرياء، والأهم أن هذه الأعمال لا تؤدي بصاحبها إلى دخول الجنة، وأن من يقوم بها ليس شهيداً)[٣]. وبعيداً عن البحث الفقهي في هذه المسألة وأقوال العلماء فيها قديماً وحديثاً، فإن دعاة الحوار ومن يوافق عليه من أهل الكتاب لهم أهدافهم التي يرغبون في الوصول إليها، فعلى المحاور المسلم ألا يشاركهم فيها، وألا يكون أداة تستخدم في تحقيقها.

٧- ومما يهدفون إليه من موافقتهم على الحوار التأكيد على مسألة استقلالهم ومحافظتهم على شخصيتهم الدينية، وقولهم: إن كل دين وعقيدة تخص أصحابها، بل زعموا أن لكل دين رؤيته الخاصة عن الإله، كما يذكر " آرثر جلبرت"[٤]. ولهذا يرفض بعضهم الحوار الديني؛ لأن كل جماعة دينية - كما يقول الحاخام "جوزيف سولوفيتسك" - لها

(١) انظر: المرجع نفسه (٢/٦١٧-٦١٨). بمرجعه. باختصار.

(٢) انظر عن ذلك: دعوة التقريب (٢ / ٦١٨- ٦٢٠).

(٣) الموقف اليهودي والإسرائيلي من الحوار (٥٠).

(٤) انظر: المرجع نفسه (٢٥).

شخصيتها المستقلة، وطبيعتها الغامضة، ولغتها الدينية، وهي أمور تجعل من الاتصال بالجماعات الدينية الأخرى عن طريق الحوار أمراً صعباً، إن لم يكن مستحيلا[١]، ومن ثمّ فالحوار لا علاقة له بالمسائل الدينية - وما ذلك إلا بسبب يقينهم ببطلان عقيدتهم - يقول الحاخام"جوزيف": (إن لغة الإيمان الخاصة بمجتمع ديني خاص غريبة تماماً وغير مفهومة بالنسبة لمجتمع ديني آخر، ولهذا فالحوار المطلوب لا يجب أن يكون حواراً على المستوى الديني، بل يجب أن يقتصرَ على المستوى العلماني الدنيوي الإنساني، فالعلاقةُ أو الاتصال بين الإنسان والله علاقة مقدسة وشخصية، وهي أمرٌ خاص لا يفهمه الغريب على الدين، وكل مجتمع ديني منهمك في عالم خاص، يعكس طبيعة العمل الإيماني، ومن ضياع الوقت أن نحاولَ نقل، أو ترجمة هذه الطبيعة، إلى من لا يدينون بنفس الدين)[٢]. ونظراً لهذا قامت بعض المجالس والهيئات بالوقوف ضد الحوار بين الأديان[٣]، حفاظاً على هذه الاستقلالية الدينية !!

٨- كذلك سعى اليهود ويسعون إلى توظيف هذه الحوارات من أجل الاعتراف بهم من قبل النصارى، وتبرئتهم من دم المسيح ﷺ، واعتذار الكنيسة عن اضطهاد اليهود وعن صمتها أيام الأحداث النازية، ومما يدل على هذا ما جاء في بيان المجمع الفاتيكاني الثاني وفيه: (ولئن يكن ذوو السلطان من اليهود ومشايعوهم هم الذين دفعوا على قتل المسيح ﷺ فإن ما اقترفته الأيدي إبان آلامه لا يمكن إسناده في غير تمييز، إلى جميع اليهود الذين عاشوا آن ذاك، ولا إلى اليهود العائشين في عصرنا. من أجل ذلك لا يجوز على كون الكنيسة هي الشعب الجديد لله أن يُشَهّر باليهود بأنهم منبوذون من الله، وأنهم ملعونون، كما لو كان ذلك يستنتج من الكتاب المقدس... وإلى ذلك فإن الكنيسة التي تستنكر جميع ألوان الاضطهاد لجميع الناس أيا كانوا، ولا قِبل لها بأن تنسى التراث المشترك بينها وبين اليهود تأسف - لا لبواعث سياسية ألبتة بل بدافع من محبة الإنجيل الدينية - للأحقاد والاضطهادات وجميع مظاهر العداء للسامية التي ألمت

(١) انظر: المرجع نفسه (٢٦).

(٢) الموقف اليهودي والإسرائيلي من الحوار مع المسيحية والإسلام (٢٦). وانظر: دعوة التقريب (٢/٦٢٠-٦٢١).

(٣) الموقف اليهودي (٢٦).

باليهود، أيا كان عهدها، وأياً كان فاعلوها) [١]. وبإزاء ذلك لم تكسب النصرانية شيئاً، بل أوقف النصارى جهودهم التنصيرية بين اليهود، بل ساندت اليهود الصهاينة في تحقيق أهدافهم، ومن ذلك دعم الوجود اليهودي في فلسطين والعمل على استمراره[٢].

٩- ومن أهدافهم من الحوار تحقيق وتأكيد الوجود الإسرائيلي في أرض فلسطين المسلمة؛ لأنهم يرون أن الحوار في المسائل السياسية لن يؤتي ثمرته إلا بعد الحوار الديني، وهذا ما ذكره الحاخام "جاي م. بريتون" فبعد أن بيّن أهمية التعرف على الآخر وعلى تراثه الديني، قال: (وبعد أن تكون هذه المهام قد وضعتنا بكل معناها على الطريق فعندئذ فقط يمكننا أن ندخل المسائل السياسية في الحوار. إذ بدون هذا الشرط الأساسي - ألا وهو الفهم المتبادل لتراث كلٍ منا - فإن المناقشات السياسية قد تنتهي إلى كلام منمق وغوغائية) [٣].

بعض أهداف النصارى من الحوار

إن المطالبين بالحوار من النصارى لهم العديد من الأهداف التي يرغبون تحقيقها ومنها:

١- نشر النصرانية بين اليهود من أجل إدخالهم فيها، إذ لا يمكن التخلص من خطيئة اليهود الخاصة بقتل المسيح عليه السلام - كما يزعمون - إلا بالدخول في النصرانية، والقبول بالمسيح عليه السلام كمخلص، وفي حالة عدم قبول اليهودي بذلك يتم الاحتفاظ به كشهادة وتذكير لقتل اليهود المسيح عليه السلام، فلابد من الحفاظ على هذا الشاهد[٤].

٢- إدخال المخالفين في النصرانيةِ وهذا أمر تشهد به الدعوات التنصيرية؛ لأنهم يرون أن إعادة الناس إلى فلك الكنيسة لن يكون إلا عن طريق الكلمة والإقناع والحجة، [٥]

---

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني (٦٢٩-٦٣١). نقلاً من كتاب: دعوة التقريب بين الأديان (١ / ٤١١-٤١٢).

(٢) انظر: الموقف اليهودي (٦٥-٦٦).

(٣) دعوة التقريب (٢/ ٦١١). وانظر ما ذكره الدكتور أحمد القاضي بهذا الخصوص: المرجع نفسه (٢ / ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦٢٧، ٦٢٨).

(٤) الموقف اليهودي (٣١).

(٥) دعا "ريموند لول" إلى إنشاء أقسام للغة العربية تدرس المتخصصين في التنصير، ومن الأساليب المتبعة في هذه الأقسام (التدريب على الخطابة، وأساليب الإقناع في الحوار، والسيطرة على الخصم في المناظرة) الإسلام والمسيحية (٨٧).

والطعن والتشكيك في الإسلام، [١] ولو عن طريق التودد، لأجل ذلك وجه بعض زعماء الكنيسة العديد من الدعوات المطالبة للبحث عن الخلاص!! فهذا "بطرس المبجل!!"[٢] يقول في رسالة وجهها إلى العرب: (من بطرس الفرنسي الجنسية المسيحي العقيدة... إلى العرب أبناء إسماعيل، الذين يتبعون قانون الرجل الذي يدعى محمداً، [٣] قد يبدو غريبا، ومن الممكن أنه كذلك، إنني إنسان، كم أنا بعيد عنكم موطنا، وأتكلم لغة أخرى، وأفكر بصورة مختلفة... لأنني أردت أن أجيء إليكم ليس بالسلاح... وإنما بالكلمة، ليس بالبغض والكراهية، وإنما بالمحبة، التي يجب أن تكون بين أولئك، الذين يجلون المسيح، وأولئك الذين استداروا عنه... إنني أحبكم، وبمحبة أكتب إليكم، داعيا إياكم إلى الخلاص، ليس ذلك الخلاص الذي يزول ويتبدل، وإنما إلى الخلاص الذي يبقى ويدوم...) [٤]. ولا شكَ أن مسألةَ التنصير تقوم على فكرةِ الحوار، ومحاولة الإقناع لإدخال الناس في النصرانية، ولهذا كان " توما الاكويني"[٥] يرى حتمية عقد المناظرات والمحاورات الجدلية مع الوثنيين - كما يزعم - من المسلمين وغيرهم، عن طريق البراهين العقلية[٦].

(١) انظر: الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم (٧٨-٧٩) أليكسي جوارفسكي، ترجمة الدكتور /خلف محمد الجراد، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

(٢) هو رئيس أحد الأديرة، ترجم القرآن الكريم إلى اللاتينية، كان يرى حتمية الصراع مع الإسلام ولكن ليس بالسيف، بل بالكلمة، وقال بالإمكان إعادة المسلمين إلى فلك الكنيسة، عاش ما بين ١٠٥٩ – ١١٥٦م. انظر: الإسلام والمسيحية (٧٩).

(٣) قلت: هذه العبارة وأمثالها مما يطلقه دعاة الحوار من النصارى تبيّن موقفهم من نبي الإسلام ﷺ، ومن ثم فإنه يتعيّن أن يكون هذا الأمر أحد الأصول التي تبحث حين الحوار مع أهل الكتاب.

(٤) الإسلام والمسيحية (٧٩-٨٠).

(٥) فيلسوف ولاهوتي من أصل إيطالي، له العديد من المؤلفات، منها: الخلاصة في الرد على الأمم، الشروح على أرسطو، شرح إنجيل يوحنا، ولد عام ١٢٢٥م، ومات سنة ١٢٧٤م، انظر: موسوعة أعلام الفلسفة (١ / ٣٣٨-٣٤٦). روني إيلي إلفا، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٦) انظر: الإسلام والمسيحية (٨٣). وانظر: ما بعدها.

إن الهدف الكنسي من الحوار والانفتاح على الآخر في حقيقته الأولى – بلا نزاع - هو العمل على التنصير، فقد ورد في مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني إشارة صريحة (إلى أن مهمة الكنيسة الكاثوليكية - نظرا لكونها معلمة الحق كما ورد في التصريح - أن تبشر بالمسيح والمسيحية بين مختلف الشعوب، وكان الموقف الرسمي للكنيسة الكاثوليكية واضحا تماماً حول هذه المسألة ومحدَّدا تماما "الحوار الحقيقي يشكل إنجيلية بحد ذاتها")[(١)].

وفي رسالة "الفادي" إلى البابا يوحنا بولس الثاني سنة ١٩٩٠م، وتحت عنوان "الحوار مع الإخوة والأخوات من ديانات أخرى" يقول: (إن الحوار بين الديانات يشكل جزءا من رسالة الكنيسة التبشيرية... تريد الكنيسة من خلال الحوار أن تكشف بذور الكلمة وأشعة الحقيقة التي تنير الناس أجمعين) [(٢)].

وأقوالهم الصريحة بذكر أهدافهم وغاياتهم من الحوار كثيرة،[(٣)] فإما التنصير وإما أن يكون أداة لتقريب الناس إلى النصرانية كخطوة ممهدة تسبق تنصيرهم.

وفي هذا دلالة واضحة على أهمية الحوار عندهم لإقناع الناس بعقيدتهم، أو قل: لجعل الناس يتقبلون عقائدهم ويشاركونهم فيها، وهذا ما وقع فيه بعض المسلمين في بعض المدن الأفريقية حيث أصبح يشاهد (آباء يقودون أطفالهم إلى الكنيسة في حين أنهم يذهبون شخصيا إلى الصلاة في المسجد) [(٤)].

وقد وصل الأمر في بعض البلدان الإسلامية إلى إقامة الصلوات المشتركة[(٥)]- كما يزعمون - وفي بعضها سمح بعض المسلمين بتعميد أطفالهم[(٦)].

---

(١) الإسلام والمسيحية (١٦٢). وانظر: دعوة التقريب بين الأديان (٢/ ٧٧٩).

(٢) رسالة الفادي (٨٦، ٨٨) نقلا من كتاب: دعوة التقريب بين الأديان (٢/ ٧٨١).

(٣) انظر عنها كتاب: دعوة التقريب بين الأديان (١/ ٧٧٧- ٧٨٤).

(٤) الإسلام والمسيحية (١٥٤).

(٥) انظر: المرجع نفسه (١٥٣). الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (١٢٥).

(٦) انظر: الإسلام والمسيحية (١٥٣).

والأغرب من ذلك أن كثيراً من المؤتمرات واللقاءات التي عُقدت بين المسلمين والنصارى كانت تصدر البيانات المشتركة وفيها تشجيع على حضور الصلوات والاحتفالات الدينية، فمثلا مما جاء في بيان مؤتمر"التخطيط للحوار الإسلامي المسيحي: الأشكال الراهنة والمستقبلية"[(١)]: (إننا نشجع المشاركة المناسبة في الاحتفالات الدينية بعضنا لدى البعض الآخر. ورغب بعضنا في أن يُسمح له بالوجود الصامت في أوقات عبادة الجانب الآخر. كما أن بعضنا شارك في الصلوات والأدعية والتأملات، وصلى على نية بعضنا الآخر، ما دمنا نصلي للإله الواحد الأحد، ونؤمن أنه موجود داخل حوارنا...) [(٢)].

وهذا ما دعا إليه " مؤتمر وحدانية الله، والجماعة الإنسانية بين المسلمين والمسيحيين الأفارقة على صعيد العمل والشهادة"[(٣)] ومما جاء في بيانه الختامي: (يمكن إقامة صلوات مشتركة من أجل تطور المجتمع ككل...)[(٤)]. وقد رافق هذا المؤتمر مشاركة النصارى المسلمين في صلاة الجمعة، وحضور المسلمين صلاة الأحد مع النصارى[(٥)].

ولا يعزب عن البال أن البابا "يوحنا بولس الثاني" قد دعا إلى إقامة الصلاة المشتركة من أتباع الأديان الثلاثة من أجل السلام في بلدة "أسِيْس" الإيطالية، سنة ١٩٨٦م[(٦)]. ثم تكرر هذا الحدث مرات أخرى باسم صلاة "روح القدس"[(٧)].

---

(١) عقد هذا اللقاء في سويسرا في الفترة من ٢٥-٢٨ شوال عام ١٣٩٦هـ/ الموافق ١٩-٢٢ أكتوبر من عام ١٩٧٦م.

(٢) دعوة التقريب بين الأديان (٣/ ١١٦٣).

(٣) عقد هذا المؤتمر في مدينة " لاغون" في غانا في الفترة من ٢٦ جمادى الآخرة - ١ رجب عام ١٣٩٤هـ/ الموافق ١٧-٢١ يوليو ١٩٧٤م.

(٤) دعوة التقريب (٣ / ١١٥١).

(٥) انظر: دعوة التقريب (٣/ ١١٤٩).

(٦) انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان (١٥). دعوة التقريب بين الأديان (٣/ ١٢١٦).

(٧) انظر: الإبطال لنظرية الخلط (١٦) وكتب العلامة بكر أبو زيد معلقاً على ذلك في الهامش: (لم يفصح لنا الخبر إلى أي القبلتين صلى بهم البابا... وهل كانت الصلاة في بيت رحمة - المسجد - أم في بيت عذاب: الكنيسة، والمعبد. وهذه أول صلاة يؤم فيها كافر مسلماً ؟!؟!) المرجع نفسه، ذات الصفحة، هامش رقم (١). قلت: ولن تكون هذه النهاية، بل سيتبعها أمور منكرة، إلا أن يشاء الله تعالى غير ذلك.

ولهذه الآثار التي رآها النصارى فقد تتالت دعواتهم التي تحث على الانتقال من المواجهة الحربية إلى المناظرة والحوار،(١) وذلك عن طريق عقد المؤتمرات، وإقامة الجمعيات والندوات، وبيان أهمية ذلك كله،(٢) ووجوب الاستفادة منه في تحقيق مصالحهم، والسعي إلى الاعتراف بهم وإقرارهم على باطلهم.

٣- ومن أهدافهم التي يسعون إليها من وراء هذه الحوارات كف المسلمين وصدهم عن ذروة سنام الإسلام، الجهاد في سبيل الله تعالى، ولا ريبَ أن مجاهدةَ الكافرين من الكتابيين وغيرهم فيه إذلال وإرهاب لهم، وإدخال للرعب في قلوبهم، فهم يذكرون ويتذكرون قوة المسلمين من خلال إيمانهم وجهادهم، ولأجل ذلك تجدهم يدعون إلى الحوار ويطالبون به، ويدعون إلى نسيان ما كان في الماضي من خلاف وتصادم، ويقولون: إن العصر عصر سلام وتسامح، ومما يدعو للعجب مشاركة بعض كتاب الحوار ودعاته في إذكاء ذلك الهدف، وتسمية الجهاد بغير اسمه، تارة مقاومة، وتارة إرهاب، وتارة بتأويل آياته، والقول إنه كان في مرحلة مرت، لا يتناسب وهذا الوقت الذي يسود فيه الانفتاح ومبدأ الحوار، وأي حوار ينشده هؤلاء ويدعون إليه، إن كان فيه تقليل من شأن الدين وأحكامه؟! ولكن وإن استجاب لهم من استجاب، فإن أمر الجهاد باق ماض في هذه الأمة إلى قيام الساعة، وقد جاء الأمر من الله تعالى بمجاهدة أهل الكتاب، حتى يدينوا بدين الحق، فإن أبوا أعطوا الجزية وهم أذلة.

قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾[التوبة: ٢٩].

٤- ومما يهدف إليه دعاة الحوار من أهلِ الكتاب تمييع عقيدة الولاء والبراء في نفوس المسلمين، وهذه العقيدة أوثق عرى الإيمان، كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ فقال: (أوثقُ

(١) انظر: الإسلام والمسيحية (٨٨-٩٠).

(٢) انظر على سبيل المثال المسرد التاريخي الذي وضعه الدكتور أحمد القاضي في كتابه: دعوة التقريب بين الأديان (٣/ ١٠٧٤) وما بعدها. (٤/ ١٣٥٣-١٤٠٩).

عرى الإيمان: الموالاةُ في الله، والمعاداة في الله، والحبُّ في الله، والبُغضُ في الله عز وجل)[١].
ومما يلحق بذلك المطالبة في حواراتهم بترك الطعن في دين الآخرين، أو الحكم عليهم، والمطالبة بالمودة والمحبة بين أهل الأديان الثلاثة، وهم يريدون بهذا - كما يقول الشيخ العلامة بكر أبو زيد-: (كسر حاجز براءة المسلمين من الكافرين، ومفاصلتهم، والتدين بإعلان بغضهم وعداوتهم، والبعد عن موالاتهم وتوليهم، ومودتهم، وصداقتهم)[٢].
وقد حقق الأعداءُ كثيراً من مطالبهم. فأنّى اتجهت تبحث في كتابات دعاة الحوار من المسلمين تجدها تدعو إلى ما يدعو إليه دعاة الحوار من أهل الكتاب، بل وصل الحال بهم إلى الحكم لهم بالإيمان، بعد أن جهل هؤلاء عقيدة الولاء والبراء، التي يلزم منها معاداة الكفر وبغض أهله، والحكم عليهم بما حكمت به النصوص الشرعية، فتجد أحدهم يقول: (كيف يتسنى الحوار في جو من التفتح والثقة المتبادلة، إذا شد كل من الطرفين صاحبه مسبقاً ومنذ البداية إلى عمود من أعمدة جهنم دون أن يسمح له بأمل الخروج منها، وما ذلك إلا لأجل معتقداته الخاصة) [٣]ويقول الآخر: (الإسلام الذي لا يقبل غيره الله هو أن تسلم وجهك لله وأنت محسن. وأي امرئ كان هذا حاله فإنه مسلم سواء كان مؤمناً بمحمد، أو كان من اليهود والنصارى... [٤] والركوع والسجود وما إليهما في الصلاة، وصيام نهار رمضان، وشعائر الحج إلى بيت الله في مكة، ليست هي ذات الإسلام، ولا تفيد بذاتها إسلامًا) [٥]. ويا ربّاه، أي فقه هذا ؟!! وكلامهم يرده كل من يقرأ كتاب الله تعالى من عامة المسلمين.

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٤٩٧). حديث رقم (٢٥٣٩). تحقيق الشيخ الألباني، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م، المكتب الإسلامي، بيروت. وقال عنه (صحيح).

(٢) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان (٢٥).

(٣) دعوة التقريب (٦٥٨/٢). من كلام محمد الطالبي، المولود في تونس سنة ١٩٢١م، الحاصل على الدكتوراة من جامعة السربون عام ١٩٦٨م.

(٤) راجع في تكفير من لم يكفر اليهود والنصارى من كلام العلماء المتأخرين. الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين: الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات (١٦٦-١٧١). وكلام الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد في: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان (٥٤-٥٧)

(٥) دعوة التقريب (٢/ ٦٤٦). ولمزيد من أقوالهم وتعقبها بشيء من النقض. انظر المرجع نفسه: (٢/ ٦٤٣) وما بعدها.

٥- ومما يهدف إليه دعاة الحوار من أهل الكتاب تحجيم الدعوة إلى الله تعالى، بل إيقافها؛ لأن ذلك لا يتفق مع مبدأ الحوار والتعايش، وقد نصت بعض البيانات المشتركة لهذه الحوارات أنه لكل أصحاب ديانة أن يعملوا على نشر عقيدتهم بين أتباعهم، وحذرت هذه البيانات من محاولة اقتناص الآخر والتأثير عليه. وسيأتي بيان ذلك ودليله. ومن المنكر والضلال البعيد، ما يردده كتبة ودعاة الحوار. يقول أحدهم: (إن الحوار الذي نفهم ليس دعوة مبطنة، فمن التزم الحوار وقبله نهجاً، يكف عن الدعوة والتبشير في الوقت الذي فيه حوار. فالحوار الذي نقصد، له مصالح أخرى مشتركة، لا يدخل التبشير أو الدعوة ضمنها) [١].

وبعضهم يدعو إلى ترك المجال لكل طائفة تدعو لدينها بالحكمة والموعظة !! فيقول: (إذا اختلفت الأديان فإن أهل كل دين لهم أن يدعوا إلى دينهم بالحكمة والموعظة، من غير تعصب يصم عن الحقائق، ولا إكراه ولا إغراء بغير الحجة والبرهان) [٢].

واعجباه، أي جرأة تسوغ مثل هذا الكلام ؟! ومن أين استنبط هذا الحكم ؟!! وكيف تكون دعوة أهل الكتاب إلى دينهم بالحكمة والموعظة ؟!! وهل لهم من حجة وبرهان على باطلهم وشركهم ؟!! إن هذا القول فيه إقرار لهم على دينهم ! وهو عند التأمل فيه، في غاية الفساد والخطورة[٣].

٦- ومن أهدافهم المحافظة على عقائدهم الباطلة وذلك بأن لا يمسها الحوار - من الطرف الإسلامي وإلا فإنهم كثيرا ما يذكرون عقائدهم ويقررون باطلهم في حواراتهم ومؤتمراتهم - وهم بهذا يمهدون إلى الاعتراف والإقرار لهم بها من خلال السكوت عنها، لذلك تراهم يصرون على استبعاد الحوار في المسائل العقدية، ويقصرونه على (المجال الدنيوي البحت، بحيث ينأى الحوار عن مناقشة الإشكاليات والمسائل الدينية)[٤].

---

(١) دعوة التقريب (٢ / ٧٤٨).

(٢) العلاقات الدولية في الإسلام (٤٤) لأبي زهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، دون ذكر لرقم الطبعة.

(٣) انظر لمزيد من الأقوال والآراء: الولاء والبراء (٣٤٥ – ٣٤٦). الدكتور/ محمد سعيد القحطاني، الطبعة الأولى، دار طيبة، الرياض، السعودية. الحوار مع أهل الكتاب (١١٩، ١٢٣) وما بعدها.

(٤) الإسلام والمسيحية (١٤٦). وانظر: (١٢٦).

ومما يدل على ذلك أن الكنيسة تحرص دوما على ألا يصدر عن طريقها ما قد يفهم منه خلاف ما تريد، فمثلاً كانت بعض العبارات في الدستور العقائدي الكنسي تقول: إن المسلمين (يعبدون معنا الإله الواحد الرحيم، الذي كلم الناس بالأنبياء إلا أن اللجنة اللاهوتية المختصة ألغت هذه العبارة، نظرا لأنها يمكن أن تؤول بشكل مثير للإشكال، كأن يفهم منها أن الله تكلم عبر محمد - حسب قولهم - في حين أن التصريح الختامي صاغ هذه العبارة بصورة مقتضبة، الذي كلم الناس) [1]. ومن الغريب الشنيع أن هذه الفكرة تأثر بها كثير ممن كتب عن الحوار أو دعا إليه مع أهل الكتاب، فتراهم يستبعدون المسائل الدينية ويرون أن الحوار فيها حكمه الفشل، يقول" محمد مهدي شمس الدين": (إن الحوار تارة يراد منه أن يتناول العقائد، وهذا أمر نراه فاشلا، يعني لا قيمة له؛ لأنه نعتقد أن حوارا من هذا القبيل نهايته الفشل... الحقل المنتج والناجع للحوار الإسلامي المسيحي هو حقل المفاهيم الأخرى الحياتية خارج العقائد، الموقف من قضايا الحرية، الموقف من قضايا الاقتصاد الدولي، الموقف من قضايا القمع السياسي، الموقف من الأزمة الأخلاقية للبشر، الموقف من المواد المضرة مثل قضايا المخدرات، الموقف من قضايا البيئة، هذه الأمور التي يمكن أن نجد فيها قواسم مشتركة، أما في المسألة الاعتقادية فيوجد قاسم مشترك موجود، وهو الحقائق الكبرى الثلاث للإيمان الإبراهيمي، وهي التوحيد، والنبوة العامة، والإيمان باليوم الآخر، وهذه أمور لا تحتاج إلى حوار؛ لأنها متفق عليها)[2].

٧- ومن أهداف النصارى من الحوار الحصول على الاعتراف بهم، وإقرارهم على ما هم عليه، عن طريق الإقرار بالتعددية، يقول "جورافسكي": (الحوار ليس تماثلا مع الآخر، وليس إلغاء أو حذفا له، بل هو اختلاف وتنوع، واتفاق على التعددية) [3].

ولذلك تجد البيانات المشتركة لبعض المؤتمرات تنص على هذه التعددية، بل تقر الطرف

(١) المرجع نفسه (١٤٢).

(٢) مجلة المعارج البيروتية العدد ٦،٧ ذو القعدة، ذو الحجة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، نقلا من كتاب: دعوة التقريب بين الأديان (٢/٧٣٧).

(٣) الإسلام والمسيحية (١٦١).

الآخر على نشر عقيدته بين أتباعه، ومما جاء في البيان المشترك لـ "المؤتمر الإسلامي المسيحي الدولي الأول"[1]: (تنقية المناهج والكتب الدراسية في العالمين المسيحي والإسلامي من الأخطاء التي تسيء إلى أي من الدينين... [و] مناشدة المسلمين والمسيحيين بأن يعنى كل منهم بنشر عقائده بين أتباعه...)[2]. وهذا ما نص عليه أيضا البيان المشترك لـ "مؤتمر تحقيق التفاهم والتعاون الإنساني"[3] وفيه: (مع إقرارنا بأن للديانتين دعوة رسولية، علينا أن نتجنب كل جذب واقتناص)[4].

ومن ذلك البيان المشترك لـ "المؤتمر الإسلامي المسيحي الاستشاري"[5] وفيه: (أن يتجنب الحوار كل تشويه لديانة الآخر، ويحاربه) [8].

وهذا ما نص عليه البيان الختامي لـ "مؤتمر التبشير، والدعوة الإسلامية"[9] وفيه: (يوصي المشتركون في اللقاء... بأن يدعى المسيحيون والمسلمون للاشتراك في "جمعية تمثيلية" للديانتين، من أجل تدارس الطرق المعتمدة في الرسالة والدعوة، والأنظمة المتبعة في كل ديانة، والتباحث في الأساليب التي تسمح لكل ديانة أن تمارس الرسالة أو الدعوة وفقاً لإيمانها الخاص بها) [6].

وبعض هذه اللقاءات والندوات تنص على تشجيع ترجمة الكتب المقدسة إلى جميع اللغات، وتدين كل محاولة ترمي إلى مصادرة تلك الكتب، أو منع تناولها في أي جزء من أجزاء

---

(١) عقد المؤتمر في أسبانيا من ٢٣-٢٨ شعبان سنة ١٣٩٤هـ / الموافق ١٠-١٥ سبتمبر من سنة ١٩٧٤م.

(٢) دعوة التقريب بين الأديان (٣/ ١١٨٢-١١٨٣).

(٣) عقد هذا المؤتمر في لبنان في الفترة من ٣٠ جمادى الأولى - ٦ جمادى الآخرة عام ١٣٩٢هـ / الموافق ١٢-١٨ يوليو عام ١٩٧٢م.

(٤) دعوة التقريب بين الأديان (٣ / ١١٤٥).

(٥) عقد هذا المؤتمر في جنيف من الفترة ١٢-١٦ من ذي الحجة، سنة ١٣٨٨هـ / الموافق ٢-٦ مارس، سنة ١٩٦٩م.

(٨) دعوة التقريب بين الأديان (٣ / ١١٤٢).

(٩) عقد هذا المؤتمر في سويسرا، في الفترة من ٢٨ جمادى الآخرة - ٤ رجب، من عام ١٣٩٦هـ / الموافق ٢٦ يونيو- ١ يوليو، من عام ١٩٧٦م. وشارك فيه أربعة من المسلمين المقيمين في بلاد الغرب.

(٦) دعوة التقريب بين الأديان (٣ / ١١٦١).

العالم،[1] بل ربما دعا بعضهم إلى طبع المصحف مع التوراة والإنجيل في غلاف واحد!![2] نعوذ بالله من الضلال.

وكما ذكرت سابقاً فإن الهدف الرئيس للكنيسة من هذه الحوارات هو التنصير، وعجباً! بالأمس كان يقاوم التنصير ويُذكر خطره وأثره، واليوم وعن طريق هذه الحوارات يأخذ صفة الأمر المشروع المتفق عليه !! فكيف يوافق مسلم على أن يقوم النصارى بنشر عقائدهم وشركهم ؟!!

وإذا كان هذا حال المؤتمرات والبيانات، فإن كثيراً من الكتابات ليست بأحسن حال منها، فتجد هذه الدعوة ظاهرة واضحة في كثيرٍ من كلام دعاة الحوار وطلاب التعايش! حيث خلطوا بين الأمور، ولم يفرقوا بين التسليم بوجود المخالف وبين إقراره على ما هو فيه من باطل وضلال، فيقول أحدهم: إن من الأمور التي يراعيها الحوار تقدير الأديان والمعتقدات والأعراف والتقاليد لكل شعب، أو أمة من الأمم المتحاورة أو الساعية للحوار، ومن ثم القبول بالتعددية، والمحافظة على كيانات الجميع، دون أن ينتهي طرف على حساب الآخر[3].

ويقول الآخر: (إن الحوار يرفض مبدأ أي توجه إحلالي يسعى إلى نسخ الديانات القائمة، وتمثلها واستيعابها في دين ما، بحسبان أنه الأقوم، أو الأفضل، أو الأحسن، إن الحوار يدعو إلى التعايش السلمي كعملية ممكنة في ظل معطيات واقع الأديان القائمة، باختلاف منطلقاتها العقائدية، ورؤيتها للكون والإنسان وللحياة) [4].

---

(١) انظر: المرجع نفسه (٣ /١١٢٠). وهذا في البيان المشترك لـ "ندوة الحوار الإسلامي المسيحي" طرابلس. وعقدت هذه الندوة في الفترة الممتدو من ٢-٦ صفر من العام الهجري ١٣٩٦، الموافق ١-٥ فبراير، ١٩٧٦م.

(٢) يقول العلامة الفذ بكر أبو زيد: (إنه لا يجوز لمسلم طباعة التوراة، والإنجيل، وتوزيعها، ونشرها، وإن نظرية طبعها مع القرآن الكريم في غلاف واحد، من الضلال البعيد، والكفر العظيم). الإبطال لنظرية الخلط (٥٧).

(٣) انظر عن هذه الأمور وغيرها: منطق الحوار بين الأنا والآخر (١٣-١٥)

(٤) سوسيولوجيا الأديان (١٠) بحث مقدم لمؤتمر الحوار بين الأديان في الخرطوم، سنة ١٩٩٤م،قدمه الدكتور/ حسن إسماعيل عبيد، انظر :دعوة التقريب (٢/ ٧٤٩). ولمزيد من أقوالهم. انظر المرجع نفسه (٢/٧٥٠-٧٥٤).

٨- ومن أهدافهم المشتركة التي يرومون تحقيقها من وراء الموافقة على الحوار صد اليهود والنصارى عن الدخول في الإسلام، فيبقى اليهودي على يهوديته، والنصراني على نصرانيته، متى أُقرّ مبدأ أنه لا يستطيع أحد الادعاء أن الحق معه لوحده، ومتى أُقر أن أهل الكتاب أهل توحيد، وأن من حقهم أن يدعوا إلى دينهم. فإذا تم لهم هذا الاعتراف والإقرار، فإن أتباع اليهودية والنصرانية لن يجدوا مبررا للخروج من دينهم والدخول في الإسلام، فما الجديد طالما أن الأديان الثلاثة سواء ؟!!.

٩- ومن الحقائق التي تكشف بعض أهداف النصارى من الحوار تلك الوثائق والبيانات الكاثوليكية المتعلقة بمسألةِ التقريب والحوار بين الأديان، ومن أقدم هذه البيانات الكاثوليكية بعد المجمع الفاتيكاني الثاني المقالة التي كتبها "لويس جاردت"ونشرت سنة ١٩٦٦م، عن طريق أمانة سر شؤون غير النصارى، وكان عنوانها" نحو حوار مع الإسلام" ويرى هذا الكاتب أن هناك عدة قضايا يمكن أن تكون مادة للبحث والحوار، وهي مسألة أفعال الله تعالى، وأفعال الإنسان، أو مشكلة ازدواجية السببية، والمسألة الثانية: مفهوم الشهادة، والمقصود بذلك من يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، والمسألة الثالثة: القيم الخلقية الإسلامية، ويريد من الإنسان المسلم أن يعيد النظر في مشكلة التكليف - كما يقول - في إطار الأبعاد المتجددة لعلم الإنسان، وعلم الاجتماع[1].

وكما يُلاحظ فهم يريدون للحوار أن يكون في مسائل يتنازل فيها المسلمون عما لديهم من ثوابت وأصول شرعية، ويزداد ذلك وضوحا بتأمل مؤتمرات الحوار وبياناتها فلا تجد فيها ذكراً لعقائد النصارى وشركهم، فأين الحوار عن عقيدة التثليث، والصلب، والفداء، وتحريف الإنجيل، وغير ذلك ؟!! بل تجد في هذه المؤتمرات مطالبة المسلمين بالتراجع عن أحكامهم على أهل الكتاب وكتبهم، وإقرارهم على عقائدهم، والسماح لهم بنشرها والدعوة إليها، بل تجدهم يتبجحون بإصرارهم على نصرانيتهم وعدم التخلي عنها، أو التنازل عن شيءٍ من أصولها.

وبعد هذا فليت المحاور المسلم، والكاتب في الحوار، والداعي إليه، يتدبر ويتأمل في

(١) لمزيد من الإيضاح حول ذلك. انظر: دعوة التقريب بين الأديان (١/ ٤١٥-٤١٩).

هذه الحوارات وحقيقتها، لئلا تزل به القدم، إن في مؤتمر، أو لقاء، أو بمداد قلم، يخالف فيها وبها أصول الإسلام وتشريعاته.

ومن خلال ما سبق وما هو ظاهر بيّن من الواقع يتبيّن أن دعوة أهل الكتاب للحوار لا لمجرد التعايش والسلام، بل هي حرب على أصول الإسلام، ودعوة إلى إقرار الشرك والضلال وبسطهما على المجتمع بطريق المكر والخداع، لهذا ولكون الحوار مع أهل الكتاب أمر مشروعًا فإنه يجب على الطرف المسلم أن يكون سبّاقاً لوضع القواعد والأصول التي تضبط هذا الحوار، وتجعل منه طريقاً يوصل إلى تحقيقِ الغاية.

المبحثُ الرابع: قواعد الحوار مع أهل الكتاب

إذا تقرر أن حوار أهل الكتاب أمرٌ مشروع فإن من البدهي أن يكون له جملة من القواعد والمبادئ الأصولية، التي تجعل من الحوارِ حواراً ناجحاً مؤثراً، يؤتي ثمرته، ويحقق الغاية منه، وهذه إشارات لبعض هذه القواعد التي بينتها النصوص الشرعية، وطبقها علماء الإسلام. ومنها:

القاعدةُ الأولى: العلم

لا ريبَ أن العلمَ الذي يُحتاج إليه هنا هو العلم بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ؛ لأن حوار أهل الكتاب في أصله إنما هو حوار من أجل دعوتهم إلى عبادة الله تعالى وعدم الإشراك به، ومن ثم فإن من رام حوارهم فعليه أن يدرك ما هم عليه من آراء وأفكار، فهذا أدعى في الاستعداد لهم، وإقامة الحجة عليهم عند دعوتهم ومحاورتهم، ولهذا قال رسول الله ﷺ لمعاذ عندما أرسله إلى اليمن: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب...) [1].

وهذه العبارة منه صلى الله عليه وآله وسلم: (كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا. البخاري مع الفتح (٣ / ٣٥٧) حديث رقم (١٤٩٦).

لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان...) [١].

وقد جاء النهي عن أن يقفوَ الإنسان ما ليس له به علم، يقول "القرطبي"[٢] - في قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٦]: (في الآية دليل على المنع من الجدالِ لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده... وقد ورد الأمر بالجدالِ لمن علم وأيقن، فقال تعالى: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] [٣].

والمقصود أن من يتصدى لحوار أهل الكتاب فلابد أن يكون من الثقات، علماً، وديناً، وفهماً، وعقيدة، وعلى علمٍ بالإسلام وبدين أهل الكتاب، حتى يتمكن من إقامة الحجة، والجواب عن الشبهة، يقول العلامة"محمد بن صالح العثيمين": (يجب أن يكون هذا المناظر على علم بالإسلام، وعلى علم بالدين الذي عليه الخصم، ليتمكن من إفحام خصمه؛ لأن المجادل يحتاج إلى أمرين: أحدهما: إثبات دليل قوله. والثاني إبطال دليل خصمه. ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة ما هو عليه وما عليه خصمه ليتمكن من دحض حجته) [٤].

والمقصود أن المحاور المسلم يلزمه استحضار ما يحتاج إليه من أدلة شرعية، وعقلية، وعلمية، ويضيف لذلك ما يؤيد قوله مما جاء عنهم في كتبهم ويقرون به، من باب الإلزام لهم، وقد فعل بعض علماء الإسلام ذلك في مناظراتهم لأهل الكتاب وحوارهم معهم، حيث ألزموهم الإقرار بالحق الذي جاء به الإسلام، نظير ما يقرون ويسلمون به في عقيدتهم، ومن الأمثلة على ذلك ما فعله " الباقلاني" [٥] في مسألة إثبات معجزات نبينا محمد ﷺ بإقرارهم

(١) فتح الباري (٣ / ٣٥٨).

(٢) الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، له العديد من المصنفات منها: الجامع لأحكام القرآن، التذكرة، مات بمصر سنة ٦٧١هـ. انظر: شذرات الذهب (٥ / ٣٣٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤ / ٧٠).

(٤) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات (١٦١). طبعة عام ١٤٣١هـ، دار الوطن للنشر، الرياض.

(٥) الإمام أبو بكر محمد بن الطيب، كان حسن الفقه، قوي الجدل، له العديد من المصنفات، منها: التمهيد، الإنصاف، لا يعرف تاريخ ولادته، ومات سنة ٤٠٣هـ، انظر: شذرات الذهب (٣ /١٦٨-١٦٩).

واحتجاجهم بالمائدة التي أنزلت على عيسى عليه السلام [(1)]. ومن ذلك ما ذكره الإمام "ابن القيم" من إقرار اليهودي بنفي الظلم عن الله تعالى، ونفي نصرة الكاذب، ومن ثم إلزامه بصحة نبوة نبينا محمد ﷺ [(2)]؛ لأن الله تعالى أيده ونصره. وأيضا ما ذكره "الرازي" عن مناظرة له مع أحد النصارى ومن خلالها بيّن له بطلان القول بألوهية عيسى عليه السلام من وجوه عديدة، وانقطع النصراني [(3)].

ولأهمية العلم للمحاور المسلم فإن السلف كانوا ينهون من ضعُف علمه عن المناظرة خوفاً عليه، يقول شيخ الإسلام - في سياق مدحه للسلف وما كرهوه من أنواع الكلام -: (وقد ينهون عن المجادلةِ والمناظرة، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيُخاف عليه أن يفسده ذلك المُضل... وقد يُنهى عنها إذا كان المناظر معانداً يظهر له الحق فلا يقبله... والمقصود أنهم نهوا عن المناظرةِ من لا يقوم بواجبها، أو مع من لا يكون في مناظرتهِ مصلحة راجحة، أو فيها مفسدة راجحة، فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال) [(4)].

القاعدةُ الثانية: البدء بالقضايا الأساسية والاهتمام بها تقريراً وتأكيداً

إن الأصل في المسلم الذي يتصدى لحوار أهل الكتاب التزامه معهم بنهج نبينا محمد ﷺ، بل نهج كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيبدأ حواره معهم بدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فهذه هي الغاية من إرسال الرسل عليهم السلام، وإنزال الكتب.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومما يدل على هذه القاعدة وأهميتها أن رسول الله ﷺ عندما بعث معاذاً إلى اليمن علمه

---

(١) انظر: ترتيب المدارك (٣ /٣٧٠-٣٧٢). للقاضي عياض، تحقيق الدكتور/ علي عمر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠/٢٠٠٩ م، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.

(٢) انظر: زاد المعاد (٣ / ٥٥٩-٥٦١).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٣ / ٢٤٦ -٢٤٧).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٧ / ١٧٣ – ١٧٤). تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية.

طريق دعوتهم ليضع بذلك منهجاً ثابتاً لا يتغيّر أبداً، فقال له: (إنكَ تَقدمُ على قومٍ أهل كتابٍ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة اللّه..)[(١)] فبدأ بالأهم فالأهم[(٢)].

وقد كان رسول اللّه ﷺ يفعل ذلك، ويبدأ حواره لأهل الكتاب بدعوتهم إلى الإسلام، فعن أبي هريرة ﷺ قال: بينما نحن في المسجد خرج رسول اللّه ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فقام النبي ﷺ فناداهم فقال: يا معشر يهود أسلموا تسلموا. فقالوا: بلغت يا أبا القاسم قال: فقال لهم رسولُ اللّه ﷺ: ذلك أريد، أسلموا تسلموا. فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم. فقال لهم رسول اللّه ﷺ: ذلك أريد. ثم قالها الثالثة فقال: اعلموا أنما الأرض للّه ورسوله، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه، وإلا فاعلموا أنما الأرضُ للّه ورسوله)[(٣)].

القاعدةُ الثالثة: تحديد موضوع الحوار

إن مما ينبغي للمحاور المسلم التنبه له والاهتمام به تحديد موضوع الحوار مع أهل الكتاب، ليكون ذلك أبلغ في الأثر، وأدعى لبيان الحق وإزالة الشبه، وكلما كان الحوار في موضوع محدد استطاع المحاور أن يستوعبه بياناً ودفاعاً بصورة كافية، وحرص المحاور المسلم على هذه القاعدة، حتى لا يخرج من حواره بلا فائدة، ثم إن المحاورَ المسلم إذا أبطل واحدة من عقائدهم، فإن ذلك يؤذن بسرعة تساقطها كلها - وإن كانت ساقطة أصلا - لأنها ظلمات بعضها فوق بعض، سرعان ما تتداعى عند سقوط إحداها. ومما يذكر هنا أن الشيخ "رحمة اللّه الهندي" شرط في بعض رسائله التي أرسلها لمن يريد مناظرته عدة شروط. منها: أن تناقش مسألة التحريف والنسخ في العهدين لا في

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، البخاري مع الفتح (٣ /٣٢٢) حديث رقم (١٤٥٨). ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، مسلم بشرح النووي (١ / ١٩٦-١٩٧).

(٢) انظر: فتح الباري (٣ /٣٥٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً، البخاري مع الفتح (٣١٤/١٣). حديث رقم (٧٣٤٨). ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من أرض الحجاز، مسلم بشرح النووي (٩٠/١٢).

الجديد منهما فحسب، وأن تكون المباحثة في نبوة محمد ﷺ وأحقية القرآن بعد مباحثة التثليث وألوهية المسيح[1]، وهذا في رأيي الشخصي يعد أمراً في غاية الأهمية، ولو شئت لقلتُ: إنه يشكل قاعدة منفردة، وهي: أن الحق الواضح لا يمكن إخضاعه للحوار قبل أن تخضع الأقوال الفاسدة، والمزاعم الكاذبة، لبيان بطلانها، وكشف عوارها.

والمقصود أن يكون موضوع الحوار محدداً، وفي المسائل الأساسية، ليحقق المحاور المسلم الغاية من حوارهِ، أو يقيم الحجة على مخالفهِ، ليسكته إن استكبر عن قبولِ الحقِ والأخذ به.

القاعدةُ الرابعةُ: المطالبةُ بالأدلةِ وصحتها

إن مما يجب مراعاته والاهتمام به إقامة الدليل على الدعوى إذ به يستطيع المحاور إقناع خصمه بما يراه، فكلما كان على القول حجة وبرهان كان ذلك أدعى للتسليم والإذعان، لهذا يجب على المحاور المسلم أن يكون على دراية بالأدلة ووجه الاستشهاد بها، ليتمكن من إقامة الحجة على الحق الذي يدعو إليه، وبالمقابل فإنه يطالب الطرف الآخر بالبرهان والدليل على صحة ما يدّعيه، وهذه المطالبة أمر مشروع تجعل صاحب الزعم الباطل غير قادر على إثبات زعمه وما يدّعيه، ولذلك جاء في غير موضع من كتاب الله تعالى مطالبة أهل الكتاب بالبرهان على ما يزعمون، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١١]، وتارة يخبر تعالى بما آتاه الأنبياء عليهم السلام من حجج وبراهين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٣].

ومن ذلك مطالبةُ رسول الله ﷺ اليهودَ بالحجةِ على قولهم في مسألةِ حكم الزاني كما ذُكر في التوراةِ، وتبيّن أنهم يحكمون عليه بغير حكم الله تعالى الوارد فيها، فأمر به ﷺ فرجم، وقال: " اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوهُ "[2].

---

(١) انظر: مناظرة الهند الكبرى (١٥٠-١٥٢). تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ /١٩٩٢ م، مكتبة الإيمان، مصر.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحدود، باب حد الزنا، صحيح مسلم بشرح النووي (١١/ ٢٠٩-٢١٠). من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

ثم إن المحاور المسلم يجوز له الانتقال من دليل إلى آخر أوضح منه،[1] كما في قصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود، خاصة إذا قوبل كلامه ودليله بالعناد والاستكبار - وهذا كثير في أهل الكتاب - فله أن ينتقل إلى دليل آخر، ليقطع على الطرف الآخر عناده واستكباره.

القاعدةُ الخامسة: الاستفادةُ من مواطنِ الاتفاق

إن المحاورَ المسلم لا يدع طريقاً مشروعاً إلا سلكه من أجل الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ومن القواعد والأصول التي يجب على المحاور المسلم عدم إغفالها الاستفادة من مواطن الاتفاق، وتسخيرها لتحقيق أهدافه من الحوار، فيتخذ من بعض الأمور التي يقرون بها - مثل اعترافهم بالربوبية، وبرسالة بعض الأنبياء عليهم السلام ومعجزاتهم، إلى غير ذلك مما يوافق الحق وقد يكون في كتبهم - سبيلاً إلى بيان فساد مزاعمهم، وإلزامهم بالحق الذي يدعوهم إليه، ترتيبا على ما يقرون به، وهذا أمر تقرّهُ النصوص الشرعية.

وإذا كان من القواعد المقررة أن يكون المحاور المسلم على دراية بدينه ودين المخالف، فإن عليه ألا ينخدع بكثرة الدعوات المبطنة التي تظهر نفسها كما لو كانت تبحث عن السلم والتعايش، وعليه أن يكون حذرا مستحضرا دوما حقيقة أهل الكتاب، وكيفية التعامل معهم، وأحكام ذلك التعامل كما تبيّنه النصوص القرآنية، وتحدده السنة النبوية، وتقتضيه السياسة الشرعية.

القاعدةُ السادسة: قبول الحق حيث كان ومع من كان

من القواعد التي بينتها النصوص الشرعية أن يقبل المحاور الحق مهما كان مصدره، فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨] ومما يدل على هذه القاعدة أيضاً قوله جل وعلا: ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

يقول "ابن القيم": (من هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان، ومع من كان،

(١) انظر عن ذلك: فتح الباري (١ / ٤٥٥). الحوار آدابه وضوابطه (٣٢٠- ٣٢٤).

ولو كان مع من يبغضه ويعاديه، ورد الباطل مع من كان، ولو كان مع من يحبه ويواليه، فهو ممن هدي لما اختلف فيه من الحق) (١).

ولهذا فإن من يحاور أهل الكتاب يجب أن يكون نبيهاً، فطناً متأنياً، لا يقدح في كل ما يذكره الطرف الآخر، إلا بعد التيقّن من بطلانهِ وفسادهِ، حتى لا يقع في ردّ حق جاء به الإسلام، كنبوة موسى وعيسى عليهما السلام، والمعجزات الثابتة لهما، ونزول التوراة والإنجيل عليهما، وولادة عيسى عليه السلام من غير أب، ونحو ذلك مما هو حق أخبر به القرآن، أو صح به حديث رسول الله ﷺ. يقول الشيخ "السعدي": في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٌ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، أي ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإله واحد ولا تكن مناظرتكم إياهم على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية،أو بأحد من الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم يقدح بجميع ما معهم، من حق وباطل فهذا ظلم، وخروج عن الواجب، وآداب النظر، فإن الواجب أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله ولو كان كافراً.

وأيضا فإن بناء مناظرة أهل الكتاب على هذا الطريق فيه إلزام لهم بالإقرار بالقرآن وبالرسول الذي جاء به، فإنه إذا تكلم في الأصول الدينية والتي اتفقت عليها الأنبياء والكتب وتقررت عند المتناظرين، وثبتت حقائقها عندهما، وكانت الكتب السابقة والمرسلون مع القرآن ومحمد ﷺ، قد بينتها ودلت وأخبرت بها، فإنه يلزم التصديق بالكتب كلها والرسل كلهم، وهذا من خصائص الإسلام، فأما أن يقال: نؤمن بما دل عليه الكتاب الفلاني دون الكتاب الفلاني، وهو الحق الذي صدق ما قبله، فهذا ظلم وهوى وهو يرجع إلى قوله بالتكذيب؛ لأنه إذا كذب القرآن الدال عليها المصدق لما بين يديه فإنه مكذب لما زعم أنه به مؤمن) (٢).

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٥١٦). تحقيق الدكتور/ علي الدخيل الله،الطبعة الثالثة،١٤١٨هـ/١٩٩٨م،دار العاصمة للنشر والتوزيع،الرياض.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٩٣/٦-٩٤). تحقيق محمد زهري النجار، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ.

ومن الأمثلة النبوية على هذه القاعدة إقراره ﷺ قول اليهودية التي أخبرت أن أهل القبور يفتنون في قبورهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (دخلتْ عليّ عجوزانِ من عُجُز يهودِ المدينة فقالتا لي :إن أهلَ القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتُهما ، ولم أُنْعِمْ أن أصدّقهما ، فَخَرَجَتَا ، ودخلَ عليَّ النبي ﷺ، فقلتُ له: يا رسولَ الله، إن عجوزين وذكرتُ له، فقال: صدقتا ، إنهم يعذبون عذاباً تسمعُهُ البهائمُ كلها ، فما رأيتهُ بعدُ في صلاة إلا يتعوَّذ من عذاب القبر) [١].

القاعدةُ السابعة : التجردُ والإنصاف

إن هذه القاعدة ترتبط بالقاعدة السابقة وذلك لأن قبول الحق يقتضي التجرد والإنصاف، ولا يعني التجرد والإنصاف قبول الباطل، أو التراخي عن الحق، ولذلك ينبغي مراعاة ما يضبط هذه القاعدة لتغدو في الجانب الصحيح. ومن ذلك :

- أن المحاور المسلم بما معه من الحق المأخوذ من النصوص الشرعية حتماً سيكون متجرداً ، وهذا التجرد لا يعني أن المخالف على حق، كما لا يعني لزوم تقبل أفكاره.
- يستحضر المحاور المسلم أنه الأقوى بما لديه من الحق المأخوذ من الكتاب والسنة، ولا يظهر نفسه بمظهر الضعيف، المتنازل، المتخاذل، وكأن الحق مع غيره، كما لا يجوز له اعتقاد أو قبول المناصفة في المسائل الدينية المقررة بالنصوص الشرعية.
- أن يعتقد المحاور المسلم أنه لا يسع أحدًا من الناس الخروج على دين محمد ﷺ، عملا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] و بقوله ﷺ: "والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار"[٢]. والحديث عام يدخل فيه أهل الكتاب وغيرهم، يقول "النووي": الحديث (فيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا ﷺ... وقوله ﷺ: لا يسمع بي أحد من

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، البخاري مع الفتح (١١ / ١٧٤) حديث رقم (٦٣٦٦). ومسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر، مسلم بشرح النووي (٥ /٨٦).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، مسلم بشرح النووي (١٨٦/٢).

هذه الأمة، أي: ممن هو موجود في زمني، وبعدي إلى يوم القيامة، فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني، تنبيها على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً، فغيرهم ممن لا كتاب له أولى، والله أعلم) [1].

قلتُ: والحديث نصٌ في المسألة، وبيان لحكم من لم يؤمن به ﷺ، يقول شيخ الإسلام: (إن الذي يدين به المسلمون أن محمدا ﷺ بعث رسولا إلى الثقلين الإنس والجن، أهل الكتاب وغيرهم، وأن من لم يؤمن به فهو كافر، مستحق لعذاب الله مستحق للجهاد، وهو مما أجمع أهل الإيمان بالله ورسوله عليه؛ لأن الرسول ﷺ هو الذي جاء بذلك وذكره الله في كتابه) [2].

ومما أخبر به ﷺ أنه رسول الله إلى اليهود والنصارى، وقد دعاهم وجاهدهم وأمر بدعوتهم وجهادهم، [3] ولهذا - كما يقول العلامة "بكر أبو زيد"-: (لا يوصف أحد اليوم بأنه مسلم، ولا أنه على ملة إبراهيم، ولا أنه من عباد الله الحنفاء، إلا إذا كان متبعاً لما بعث الله به خاتم أنبيائه ورسله محمداً ﷺ)[4].

- لا يجوز للمحاور المسلم تجاهل الأصول الشرعية المقررة في نصوص الكتاب والسنة، ولا يعد ذلك منفراً أو مفرقاً أو سبباً في اتهامه، ويحذر من المداهنة والزعم أنه يقدم الإسلام بطريقة مقبولة عندما يتنصل من أصول الدين وأحكامه، ولقد أضحى هذا النهج ظاهراً في كلام كثير من كتاب الحوار ودعاته، سواء كان ذلك عن طريق القنوات، أو المواقع

---

(١) شرح صحيح مسلم (٢ / ١٨٨).

(٢) الجواب الصحيح (١ /١٤٣)

(٣) انظر: المرجع نفسه (١ / ١٢٩).

(٤) الإبطال لنظرية الخلط (٣٤). الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، دار ألفا، القاهرة، مصر. يقول أحمد عبد الغفور عطار: (الإسلام خاتم الأديان، وناسخ كل دين سبق، فلا يقبل من أحد بعد ظهور محمد ﷺ أن يتعبد الله [تعالى] بغير الإسلام، وعقيدة الإسلام توحيد حق، وتنزيه مطلق للخالق عز وجل، لا شريك له، ولا ولد، ولا صاحبه، ولا ند، ولا مثل، وهذا تنزيه وتوحيد لا نجدهما في كل الديانات القائمة). أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة (٨٣). ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، دون ذكر لرقم الطبعة، أو دار النشر.

والمنتديات، بل وصل الأمر إلى إبراز هذه المداهنة والدعوة إلى رفض الأحكام الثابتة بالنصوص الشرعية على أهل الكتاب إلى كثير من "المسلسلات" - سواء التي تزعم معالجة القضايا الاجتماعية أو غيرها - عبر القنوات المختلفة، وبأساليب ماكرة وطرق خادعة، يتحدثون فيها عن أهل الكتاب كما لو كانوا مسلمين، ويطالبون بالكف عن تكفيرهم، أو الحكم بضلالهم وشركهم. وهذه الأقوال وأمثالها فيها ضرر عظيم على عقيدة الإنسان، إذ فيها رد للنصوص وتكذيب لها، وفيها مناقضة لأصول الشريعة وأحكامها، وفيها حرب واضحة لعقيدة الولاء والبراء التي هي أوثق عرى الإيمان وآكدها. فأين هؤلاء من قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥٢].

ثم إذا كان من المسلّم به أن الحوار مع المخالف إنما هو بسبب الخلاف معه، ولولا ذلك لما كان من داع للحوار فإنه يجب على المحاور المسلم التمسك بالحق الذي معه، ويدعو الطرف الآخر لترك الباطل الذي هو عليه إلى الحق الذي يجب أن يكون عليه، وإلا كانت الدعوة للحوار ضرباً من العبث، إذا كان سَيُسلم للمخالف بأقوالهِ وأفعاله التي تخالف الحق والصواب، بل تخالف أصول الدين وأحكامه.

ولهذا فلا يجوز للمحاور المسلم التردد في الجزم بأن أحد الطرفين هو صاحب الحق دون الطرف الآخر، يدل على ذلك قوله جل وعلا: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤]. ولا ريبَ أن الهدى في دين الله تعالى.

يقول "القرطبي" في تفسير هذه الآية: (هذا على وجه الإنصاف في الحجة؛ كما يقول القائل: أحدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق وأن صاحبه كاذب، والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد، بل على أمرين متضادين، وأحد الفريقين مهتدٍ وهو نحن، والآخر ضال وهو أنتم، فكذبهم بأحسن من تصريح التكذيب، والمعنى:أنتم الضالون حين أشركتم بالذي يرزقكم من السموات والأرض)(١).

ويرى بعض المفسرين أن هذه الآية الكريمة اشتملت على (لون من ألوان الدعوة إلى الله تعالى، بأسلوب مهذب حكيم، من شأنه أن يحمل القلوب النافرة عن الحق إلى الاستسلام له،

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٦٣).

والدخول فيه)[1]. وإذا كان هذا فهم المفسرين فإن بعض الكتاب عن حوار الحضارات، أو الحوار بين الثقافات، يرى أن هذه الآية تعني: (التقبل للآخر لكسبه صديقاً وليس عدواً محارباً، فكلمة أجرمنا يفهم منها: أننا نرجع الخطأ إلى أنفسنا، فيما نعتبر عمل غيرنا ولو خالفنا ليس جرما أو خطأ)[2].

بهذا الفهم اختلطت الأمور عند هؤلاء فحرفوا وتأولوا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ويقال لهم: أي عمل يقوم به أهل الكتاب من اليهود والنصارى لا نعده جرما أو خطأ ؟!! أهو شركهم بالله تعالى ؟!! أم كفرهم برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟!! أم غير ذلك ؟!! وإليك حكم الله تعالى على أقوالهم وأفعالهم. قال جل وعلا: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠-٣٣] وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة: ٧٣].

والمقصود أنه يجب على كل مسلم أن يستحضر النصوص الشرعية دوما في تأصيله للحوار، واختيار موضوعاته، ومعرفة طرقه وأساليبه، ولا يترك شيئا من ذلك ظناً منه أن ذِكره سوف يقطع عليه استمرار مناظرته أو حواره مع الطرف الآخر.

---

(١) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١١/ ٢٨٩). محمد سيد طنطاوي، دار السعادة. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها، أو دار النشر.

(٢) حوار الثقافات مدخل لقراءة الآخر ونقد الذات (١٩١). الدكتورة / ليلى الأحدب، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة، السعودية. وذكرت ذلك بعد أن أثنت على فولتير بسبب التسامح الديني الذي أظهره، مما جعلها تعترف له بأنه سبق عصره، وتساءلت لماذا لا نستفيد من هذا الرقي، ونتعلم كيف نتعامل مع المخالف ؟!!. انظر: المرجع نفسه (١٩١-١٩٢).

القاعدةُ الثامنةُ: اعتقادُ أن الحقَ واحدٌ

إن من المتفق عليه أن الحقَ واحدٌ، وأن الحق لا يخرج عما في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وإذا كان الحق لا يتعدد، فإنه من المحال اجتماع الضدين في كلام المتناظرين فليس بالإمكان أن يثبت أحدهما أمرا وينفيه الآخر، أو يوجب أحدهما أمرا ويمنعه الآخر[١]، كما لا يمكن عقلاً أن يقبل قول من يريد الجمع بين المتضادات، فعلى سبيل المثال هذه العقيدة النصرانية تشرك بالله تعالى، وبعض من يدعو إلى الحوار أو يكتب عنه. يقول: أديان التوحيد الثلاثة !! والأدهى من ذلك أن بعض دعاة الحوار يصرح أنه ليس هناك دين هو الأفضل والأحسن من غيره، حتى يطلب من الناس الدخول فيه، يقول الدكتور "حسن إسماعيل عبيد": (إن الحوار يرفض مبدأ أي توجه إحلالي يسعى إلى نسخ الديانات القائمة، وتمثلها واستيعابها في دين ما، بحسبان أنه الأقوم أو الأفضل أو الأحسن، إن الحوار يدعو إلى التعايش السلمي كعملية ممكنة في ظل معطيات واقع الأديان القائمة باختلاف منطلقاتها العقائدية، ورؤيتها للكون والإنسان وللحياة) [٢]، بل ذهب بعضهم إلى القول: إن وجد في الإسلام نقص فقد يستكمل من دين آخر، فهذا "جمال الدين الأفغاني"[٣] يقول: (وجدت بعد كل بحث وتنقيب وإمعان أن أديان التوحيد الثلاثة على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، وإذا نقص في واحد منها شيء من أوامر الخير المطلق استكمله الثاني) [٤].

والمتأمل في هذه الأقوال يجد فيها التكذيب الواضح لنصوص الكتاب والسنة،

---

(١) انظر: منهج الجدل والمناظرة (٢/ ٦٨٨- ٦٨٩).

(٢) سوسيولوجيا الأديان (١٠) بحث مقدم لمؤتمر الحوار بين الأديان في الخرطوم، سنة ١٩٩٤م، من دعوة (٢/ ٧٤٩). ولمزيد من أقوالهم انظر: دعوة التقريب بين الأديان (٢/ ٧٥٠-٧٧٥٤).

(٣) محمد بن صفدر الشيعي، ولد في أفغانستان، كان يكتنف حياته الكثير من الغموض والسرية، تذكر بعض المصادر أنه يميل إلى القول بوحدة الوجود، وينتمي للماسونية، ولد سنة ١٢٥٤ ومات سنة ١٣١٥هـ، انظر عن ترجمته: الأعلام (١٦٨/٦-١٦٩). الإسلام والحضارة الغربية (٧٣) وما بعدها. الدكتور محمد محمد حسين، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، مكتبة ابن تيمية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

(٤) خاطرات جمال الدين الأفغاني (١٤). نقلا من كتاب: الولاء والبراء (٣٤٦). قلت: النقص إنما هو في اليهودية والنصرانية ودين الرافضة، لا في دين الإسلام.

الحاكمة بأن هذا الدين أكمل الأديان وأفضلها، وأن دين نبينا محمد ﷺ ناسخ للأديان كلها. كبرت كلمة تخرج من أفواه هؤلاء.

وإذا كان الحق لا يتعدد فإن المسلم الذي يحاور أهل الكتاب لا يخشى من الرأي المخالف ولا يهاب، مهما كان مصدره وقائله؛ لأن الغلبة للحق، والحق أحق أن يتبع، فلا يهاب من الكثرة أو القوة المادية، ولا تثنيه الآراء المضللة ولا التهم الملفقة عن هدفه وغايته.

القاعدة التاسعةُ: اعتقاد أن المصطلحات الحادثة لا تغيّر من الحقيقة شيئاً

إن الحوار مع أهل الكتاب إنما يكون من أجل دعوتهم إلى عبادة الله تعالى، والإيمان برسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى المحاور المسلم أن يدرك كيد الأعداء، وأن أهل الكتاب لن يرضوا إلا إذا تحقق هدفهم وحصل مقصودهم. قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وإذا كان الأمر كذلك فعلى المحاور المسلم ألا ينخدع بكثرة المصطلحات وتشعبها، وكثرة الأقوال فيها وزخرفتها، كقولهم: الحوار بين الحضارات، أو بين الثقافات، أو التعايش السلمي، أو التقارب، أو زمالة الأديان، أو التآلف بين الأديان، أو العمل من أجل الجميع، أو نعمل من خلال ما نتفق عليه، ونحوها، بل يجب أن يكون حذراً حتى من هذا المصطلح "الحوار" فإن كثرة هذه المصطلحات لا تغيّر من الحقيقة شيئاً، فعلى من يحاورهم ألا يتردد في الحكم عليهم وعلى أقوالهم وأفعالهم بما حكمت به نصوص الكتاب والسنة، فإن للألفاظ الشرعية حرمة لا يجوز تعديها. يقول شيخ الإسلام - عن الألفاظ التي جاء ذكرها في الكتاب والسنة: (يجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك... فاللفظ الذي أثبته الله، أو نفاه حق، فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والألفاظ الشرعية لها حرمة. ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله ليثبت ما أثبته وينفي ما نفاه من المعاني، فإنه يجب علينا أن نصدقه في كل ما أخبر، ونطيعه في كل ما أوجب وأمر...) [(١)].

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ١١٣- ١١٤).

القاعدة العاشرة: لا يرد على أهل الباطل بباطل ولا يترك الحق مجاراة لهم

بعد أن يتيقن المحاور المسلم من قدرته على محاورة أهل الكتاب فعليه التنبه لأمر كثيرا ما وقع وقد يقع، وهو أن المسلم لحرصه على كسب الطرف الآخر وجعله يسلم بالحق، ويأخذ به تجده قد يجاريه في بعض باطله، وإذا كان قد أذن بعض العلماء في مخاطبة أهل كل اصطلاح باصطلاحهم، [١] فإنهم شرطوا ذلك بأن لا يرد على باطلهم بباطل مثله، ولأجل ذلك عابوا على بعض المتكلمين الذين تصدوا للرد على النصارى مجاراتهم في بعض ألفاظهم التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة، مثل الألفاظ الموهمة التي تحتمل الصواب والخطأ؛ لأن هذا لا يسوغ شرعا، ولا يقبل عقلا، ومما وقع فيه بعض الكتاب عن الحوار مع أهل الكتاب أنه قد يتنصل من بعض الأمور ظنا منه أنه بهذا يقدم الإسلام بطريقة مقبولة، ولو كان ذلك بطريق المجاراة للآخرين ليتم قبول الإسلام - كما هو تصوره - فتجد أحدهم ينكر الخلاف مع الرافضة في الأصول ويستثني الخلاف مع الشيعة الرافضة الغلاة، [٢] ويثير مسألة الاستواء على العرش، ويتخبط بين الإثبات، والتأويل[٣]، وذكر بعض أقوال السلف، ومنهجية المتكلمين[٤]- في النفي المفصل - ثم يقرر أن الاستواء - عنده - (هو الظهور بالقدرة، والعظمة، والكمال، والعلو علوا عظيما يليق بجلاله...ويدل ذلك على أن القدرة والعظمة لله على العرش تجعل السموات تتفطر من ذلك والملائكة تسبح بحمده... إذن فالاستواء على العرش ليس صعودا أو ارتقاء، وإنما ظهور الجلال بالعلو، والقدرة، والعظمة)[٥] ويقول عن

---

(١) انظر: الدرء (١ / ٤٣) وما بعدها. الفقيه والمتفقه (٢ / ٥٢).

(٢) انظر: حوار مع أهل الكتاب (١/ ٣٨، ٤١) لمحمد عبد الرحيم أبو الوفا، حوار مع أهل الكتاب، دار هاني الخراز للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ. وكأنه يرى الباطل فيما جاء عن الطائفة السبئية. قلت: خلافنا مع الرافضة في الأصول، ولا لقاء بيننا وبينهم حتى يرجعوا للحق، ويتركوا ما هم فيه من كفر وضلال، ويظهر ذلك في موقفهم من القرآن الكريم، ومن سنة سيد المرسلين ﷺ، ومن الصحابة الأتقياء الأخيار رضي الله عنهم أجمعين، ومن أمهات المؤمنين زوجات نبينا محمد ﷺ، الطاهرات العفيفات وبالأخص أحب نسائه إليه ﷺ عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها.

(٣) انظر: حوار مع أهل الكتاب (١/ ٧٥ – ٨٢).

(٤) انظر المرجع نفسه (١/ ٧٦، ٧٧).

(٥) المرجع نفسه (١/ ٨١).

قول الأئمة[١] "الاستواء غير مجهول" (يقصد به أنه ورد ذكره في القرآن) [٢].

وليس بي من حاجة للرد على هذه الأقوال، إذ لولا أن صاحبها ذكرها في مجال الحوار مع أهل الكتاب لما ذكرتها هنا ألبتة، ولكن المقصود أن هذا ومن على شاكلته ممن يبحث في الحوار مع أهل الكتاب يظنون أن تمييع هذه الأصول سيكون أدعى في تقديم دينهم لأهل الكتاب بطريقة مقبولة، فتتكبوا الصعاب بمخالفة الأصول التي جاءت بها النصوص الشرعية، ولذلك كثر الباطل في كثير من هذه الكتابات ولو ذهب الإنسان يتتبع كل ما كتب وقيل لخرج بكمٍّ كبير من أقوالهم المردودة وأفكارهم الشاذة، مما أجزم معه أنها تصلح موضوعا لدراسة مستقلة يبيّن فيها الانحراف العقدي في الحديث عن الحوار مع أهل الكتاب.

وأختم هذا المبحث بلمحة مختصرة عن بعض الأساليب الشرعية التي جاءت بها النصوص في حوار أهل الكتاب، ومن هذه الأساليب بطريق الإجمال: البدء بمطالبة أهل الكتاب بعبادة الله تعالى وحده، والإيمان بنبينا محمد ﷺ، وكل ما جاء به، ومن ذلك مطالبتهم بالدليل والبرهان على كل ما يزعمون، ، والاستدلال بالحق الذي جاء في كتبهم لإقامة الحجة عليهم، والاستدلال بتحريف كتبهم لإبطال مزاعمهم، والاستدلال على بطلان مزاعمهم بالعقل. والاحتجاج بدلائل نبوة محمد ﷺ على ضلالهم وعدم تصديقهم لأنبيائهم، والاستدلال على بيان باطلهم بكثرة تناقضهم في كتبهم، واستخدام أساليب الترغيب والترهيب، وضرب الأمثال، وذكر تاريخهم مع أنبيائهم، وإن أصروا على العناد والاستكبار فيطلب منهم المباهلة.

أما الوسائلُ والأساليب في السنةِ النبوية فهي الأخرى تعددت وتنوعت، ومن ذلك: ذهابه ﷺ بنفسه إليهم لدعوتهم وإقامة الحجة عليهم، استقباله للوفود وطلبهم إلى ديار المسلمين ومحاورتهم ومطالبتهم بالإسلام، دعوتهم وإقامة الحجة عليهم قبل قتالهم، السماح لهم بسماع حجتهم وتمكينهم من ذكر معتقدهم، مكاتبتهم من أجل دعوتهم إلى عبادة الله تعالى[٣].

---

(١) مثل الإمام مالك رحمه الله تعالى وغيره.

(٢) حوار مع أهل الكتاب (١ / ٨٢).

(٣) انظر على سبيل المثال في دراسة هذه الأساليب: الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه (١٨٥ – ٢٠٩). دعوة التقريب بين الأديان (١٥٦٨/٤- ١٥٩٦). وهما كتابان لهما شأن في بابهما.

وإذا كان الأمر كذلك في تعدد الطرق والأساليب في محاورة أهل الكتاب، فإن في هذا دلالة على أن الحوار معهم بهذه الطرق والأساليب المشروعة يحتاج إلى موضوعات أراد الإسلام أن يكون الحوار فيها.

المبحثُ الخامس: موضوعات الحوار مع أهل الكتاب

إن مما لا يرتاب فيه المسلم أن دعوةَ أهل الكتاب إلى عبادةِ الله تعالى وحدهُ وعدم الإشراك به، والإيمان بنبيه محمد ﷺ أصل عقدي وواجب شرعي، وإذا كان الأمر كذلك فإن هذا أصل كل حوار، وهو الموضوع الذي تتفرع منه سائر الموضوعات، وإن من تمام العلم - الذي هو قاعدة أصلية في الحوار مع أهل الكتاب - أن يُدرك المحاور المسلم الموضوعات التي يقع عليها الحوار، والأصول التي لا يمكن إغفالها أو تركها، ومن الضلال البيّن أن بعض الكتابات التي تطالب بالحوار أو تكتب عنه تصر على أن مجال الحوار مع أهل الكتاب ليس هو المسائل الدينية، ومن العجب أن الطرفَ الآخر وخاصة النصراني تجده في مؤتمرات الحوار وندواتهِ يصرُ على كثيرٍ من المسائل الدينية المتعلقة بعيسى ومريم عليهما السلام، والإنجيل، ومسألة التنصير، مع ما قد يرد عنهم من أقوالٍ تدل على عدم إدخال المسائل الدينية في الحوار، إلا أن مقصودهم ألا يمس الحوار عقائدهم الباطلة ليحافظوا عليها!! لهذا رأيتُ أن الحديثَ عن الموضوعاتِ في غايةِ الأهمية، فلئن كان أصحاب الباطل يصرون على باطلهم ويدعون إليه، فإن المسلم وهو صاحب الحق الذي يعلو ولا يعلى عليه، هو الأحق باختيار موضوع الحوار وتحديده، ومن هذه الموضوعات التي يجب أن لا تخلو الحوارات منها - بناء على القاعدة التي سبق ذكرها في تحديد موضوع الحوار -:

الموضوع الأول: الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له

قامت دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على هذا الأصل، فكل نبي بعثه الله عز وجل دعا قومه إلى عبادةِ الله وحده دون سواه، قال جل في علاه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] ولهذا فكل من رام أن يسلك سبيل الأنبياء عليهم السلام، فعليه أن يتخذ من طريقتهم في الدعوة إلى الله تعالى منهجاً وسبيلاً، وقد أمر الله تعالى خير خلقه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، أن يقول لأهل الكتاب: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وإذا تأملت بعض الكتابات التي تحدثت عن الحوارِ مع أهل الكتاب تجد أنها اتخذت من هذه الآية ذريعة إلى القول إن بين المسلمين وأهل الكتاب أمورًا مشتركة، ومن خلالها يكون الحوار بين الطرفين، ليتم التعايش والتقارب بينهما، ومما ذكره أحدهم قوله: (هل يستطيع جميع الفرقاء أن يتفقوا على كلمة سواء، أن يتخذ أبناء كل شريعة شريعتهم طريقاً ونهجاً خاصاً لتدينهم بالعقائد الأصلية للدين الإلهي الواحد.. فليحتفظ كل بشريعته.. وليعترف الجميع بكل الشرائع) [(١)].

وهذا من الباطل والضلال، والقول بغير علم، فإن معنى الكلمة سواء كما ذكرهُ المفسرون وعلماء الأمة يناقض ما ذهب إليه هذا الكاتب وغيره ممن هم على شاكلته. يقول" الطبري": (قل يا محمد لأهل الكتاب وهم أهل التوراة والإنجيل "تعالوا" هلموا إلى كلمة سواء يعني إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، والكلمة العدل هي أن نوحد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئا..."فإن تولوا" يقول: فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم إليها فلم يجيبوك إليها فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك: "اشهدوا بأنا مسلمون")[(٢)].

---

(١) الإسلام والوحدة القومية (٢١٧-٢١٨) محمد عمارة. نقلا من كتاب: دعوة التقريب (٤ / ١٥٥٠). وانظر: (٤ / ١٥٤٩).

(٢) جامع البيان (٣ / ٣٠١-٣٠٢).

وقيل: "سواء بيننا وبينكم "مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل، وتفسير الكلمة قوله: ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٦٤] يعني تعالوا إليها حتى لا نقول: عزير ابن الله، ولا المسيح ابن الله؛ لأن كل واحد منهما، بشر مثلنا[١].

ودعوة أهل الكتاب إلى هذه الكلمة التي هي عبادة الله تعالى تكون بالتي هي أحسن، فيتجنب من يتصدى لمحاورتهم العنف في الألفاظ، والمخاشنة في إقامة الحجة، عملاً بالنصوص الشرعية، فقد حاور النبي ﷺ أهل الكتاب مع أنهم قوم متعنتون، معرضون، مستكبرون، ورغم ذلك كان يصبر عليهم، ويجيب عن أسئلتهم، ويرد على طعونهم، والمسلم مطالب بفعل ذلك اقتداء وتحقيقاً للغاية من المحاورة.

قلتُ: وفي محاورتهم بهذه الطريقة اللينة الحسنة دلالة واضحة على أن الحقَ مع المسلم، وهو إنما أُمر بالتبليغ لا بالإكراه، وما كان لصاحبِ الحقِ أن يثور أو ينفعل أو يغضب مهما أثار خصمهُ من شبهات، أو أصر على الباطل والمحالات، فإن الحقَ غالبٌ لا محالة، ثم إن الغضبَ قد يفقده حسن التقرير، ويوقعهُ في التخليط، وهذا قد يفسد عليه الغاية والمطلوب. ولأجل ذلك جاء الأمر بالدعوة إلى سبيل الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة،[٢] أي: الدعوة إلى شريعة الإسلام، وبطريق القرآن وحججه الظاهرة البينة، ويكون ذلك هو الهدف والغاية، وبطريقة تقوم على الرفق واللين، من غير تعنيف ولا فظاظة.

والمقصود أنه يجب على المحاور المسلم أن يدرك أن هذه الآية أصلٌ في الحوارِ مع أهل الكتاب، ولكن بما تقتضيه وتدعو إليه، لا كما يذكره كثير من كتاب الحوار ودعاته. يقول العلامة الدكتور "بكر بن عبد الله أبو زيد" (وليعلم كل مسلم أنه لا لقاء ولا وفاق بين أهل الإسلام والكتابيين وغيرهم من أمم الكفر إلا وفق الأصول التي نصت عليها الآية

(١) انظر: الكشاف (٣٩٨/١). تحقيق مجموعة من الأساتذة، الطبعة الأولى، ١٤١٨/ ١٩٩٨م، مكتبة العبيكان، الرياض.

(٢) انظر ما ذكره المفسرون عن معنى هذه الآية على سبيل المثال: جامع البيان (١١/ ٢٠/ ١- ٢) الكشاف (٣ / ٤٨٥).

الكريمة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ..... ﴾ وهي توحيد الله تعالى، ونبذ الإشراك به، وطاعته في الحكم والتشريع، واتباع خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، الذي بشرت به التوراة والإنجيل، فيجب أن تكون هذه الآية هي شعار كل مجادلة بين أهل الإسلام وبين أهل الكتاب وغيرهم، وكل جهد يبذل لتحقيق غير هذه الأصول فهو باطل.. باطل.. باطل) (١).

الموضوع الثاني: دعوتهم إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه.

يجب على المحاور المسلم أن يدعو من يحاوره من أهل الكتاب إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً ورسولاً، وقد جاءت الآيات الكريمة تحض على ذلك، وتبيّن بشارة الأنبياء به صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه بعث للناس جميعاً، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف: ٦].

وقد اتخذ علماء الإسلام من دلائل نبوته ﷺ طريقاً في محاورتهم لأهل الكتاب والرد على كثير من باطلهم؛ لأن ما يذكرونه من عقائدهم الباطلة لا يمكن أن يعارض ما جاء به ﷺ من الحق الذي أوحي إليه من ربه. يقول الشيخ "عبد العزيز آل معمر"(٢): (إن المعجزات الظاهرة والأدلة القاطعة قد قامت على نبوة محمد ﷺ، وبعد ثبوت المعجزات فلا التفات إلى

(١) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان (٦٠).

(٢) هو العلامة عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر، ولد في الدرعية سنة ١٢٠٣هـ، له عدة مصنفات، ورسائل، وأشعار، من أهمها: منحة القريب في الرد على عباد الصليب، اختصار نظم ابن عبد القوي للمقنع، مات سنة ١٢٤٤هـ، انظر ما كتبه الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب عن حياة المؤلف في مقدمة كتاب: منحة القريب في الرد على عباد الصليب (٥ – ٩) الطبعة الرابعة، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م، دار ثقيف، للنشر والتأليف، الرياض.

مثل هذه الاعتراضات... فلا يبقى إلا التسليم لخبر من قامت المعجزة على صدقه، فلما ثبت بالأدلة القاطعة صدق محمد ﷺ في خبره عن الله، علم قطعاً كذب كل خبر يخالف ما جاء به) [١].

ويقول: (إن دعوى النصارى قتل المسيح وصلبه، مستندة إلى أخبار من وضع الكتب التي بأيدي النصارى، وهي غير موثوق بها... فلا يعارض بها خبر من جاء بالمعجزات التي لا مرية معها أنه أخبر بما أخبر به عن وحي من الله تعالى) [٢].

وهذا يلزم منه وجوب طاعته واتباعه؛ لأنه ﷺ بُعث للناس كافة، ودعا أهل الكتاب وغيرهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأنه رسول الله إليهم جميعاً. يقول شيخ الإسلام: (وفي القرآن من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان، وجميع الإنس والجن، ما لا يحصى إلا بكلفة، وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام... وأيضا فالكتاب المتواتر عنه - وهو القرآن - يذكر فيه دعاءه لأهل الكتاب إلى الإيمان به في مواضع كثيرة جدا... فهذه الدلائل وأضعافها مما تبين أنه نفسه ﷺ أخبر أنه رسول الله إلى النصارى، وغيرهم من أهل الكتاب، وأنه دعاهم وجاهدهم، وأمر بدعوتهم وجهادهم...) [٣].

وإذا تقرر هذا فإن من أهم موضوعات الحوار مع أهل الكتاب مطالبتهم أن يؤمنوا برسول الله ﷺ، وعلى المحاور المسلم أن يتخذ من إقرارهم بنبوة بعض الأنبياء عليهم السلام حجة له، وإلزامًا لهم بوجوب الإيمان به ﷺ؛ لأن إنكار نبوة أحد الأنبياء عليهم السلام إنكار لهم جميعاً، [٤] ومن جحد نبوة نبينا محمد ﷺ فهو لنبوة غيره من الأنبياء أشد جحداً، [٥] ومن كذب بدعوته

(١) منحة القريب المجيب (٥٧).

(٢) المرجع نفسه (٥٧-٥٨).

(٣) الجواب الصحيح (١ / ١٢٧-١٢٩). وانظر: (١ / ٣٨٦).

(٤) انظر ما ذكره العلامة محمد بن صالح بن العثيمين بهذا الخصوص: رسائل في العقيدة (٢٦) الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، وانظر: منحة القريب المجيب (٢٢٠).

(٥) انظر: هداية الحيارى (١٨٤). لابن القيم، مكتبة المعارف، الرياض. رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

كذب بدعوة إخوانه كلهم، فإن جميع الرسل عليهم السلام جاءوا بما جاء به، فإذا كذبه المكذب فقد زعم أن ما جاء به باطل وفي ذلك تكذيب كل رسول أرسله الله تعالى، وكل كتاب أنزله الله، ثم إن جاز القدح في نبوته ﷺ، فالقدح في نبوة عيسى وموسى عليهما السلام أجوز وأجوز، وإن امتنع القدح فيهما وفي آيات نبوتهما فامتناعه في محمد ﷺ أشد، ولذلك لما علم بعض أهل الكتاب أن الإيمان بموسى عليه السلام لا يتم مع التكذيب بمحمد ﷺ، كفر بالجميع[١]؛ لأنهم علموا أن الإقرار ببعض النبوات وجحد بعضها تناقض وتفريق بين المتماثلين،[٢] وهذا لا يقبله العقلاء.

وبعد إقامة الحجة عليهم بالنصوصِ الشرعية فعلى المحاور المسلم أن يُلزم أهل الكتاب بما جاء في كتبهم من بشارةٍ بمحمدٍ ﷺ - وإن كان المسلم ليس بحاجة لما عندهم- لإقامة الحجة عليهم، وإظهار تناقضهم، وتكذيبهم بما في كتبهم، ومما جاء في التوراة: (فقال لي الرب: قد أحسنوا فيما قالوا سأقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به، وأي رجل لم يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي، فإني أحاسبه عليه) [٣].

ومما جاء في الإنجيل: (فمتى جاء هو أي روح الحق، أرشدكم على الحق كله؛ لأنه لن يتكلم من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما سيحدث) [٤].

---

(١) انظر: هداية الحيارى (١٨٥).

(٢) انظر: المرجع نفسه (١٨٧).

(٣) العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح ١٨، عدد: ١٧-١٩. دار المشرق، ١٩٩١م، بيروت، لبنان. وحاول بعض أهل الكتاب تحريف المقصود بهذا النبي، ولكن رد عليه، وتبيّن أنها بشارة بنبينا محمد ﷺ. حتى قال "شموائيل بن يهوذا بن أيوب" وكان من الإسرائيليين، توفي سنة ٥٧٥هـ، وله رسالة بعنوان بذل المجهود في إفحام اليهود، قال عن هذه البشارة: إنها دالة على نبوة محمد ﷺ ولا يستطيع كائن من كان أن يجحد تعلقها بنبي الإسلام. انظر: الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق (٣٣١-٣٤٠) المستشار محمد عزت الطهطاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

(٤) العهد الجديد، يوحنا، الإصحاح ١٦ عدد ١٣-١٤. دار المشرق، ١٩٩١م، بيروت، لبنان. ويزعم بعض النصارى أن المقصود بهذا الروح القدس، وهذا ليس إلا من تحريفهم، وكذبهم الدائم، انظر: الميزان في مقارنة الأديان (٣٦٢-٣٦٦).

وقد جاءت البشائر الإلهية في التوراة والإنجيل بمحمدٍ ﷺ، بل والتنصيص على اسمهِ وأرضهِ التي يبعث منها، ودينه وملته، وأنه خاتم الأنبياء، وأن أمته خير أمة، وملته أفضل ملة، وأن شريعته تدوم إلى قيام القيامة[1] والأدلة على نبوته ﷺ من الكتب التي بأيديهم كثيرة، ولكنهم أعرضوا عنها، فعلى المحاور المسلم ألا يترك مطالبتهم بالإيمان به صلى الله عليه وآله وسلم وبكل ما جاء عنه.

وإذا كانت دعوتهم للإيمان به ﷺ أصلاً في الكتاب والسنة، فإن من الغرائب الشنيعة المستنكرة، بل الطوام المهلكة، أن بعض دعاة الحوار لا يكترثون لهذه المسألة ويقللون من شأنها، بل ربما اعتبروا أهل الكتاب أهل توحيد وإيمان، وأن إنكارهم للنبوةإنما هو عن جهل أو جحود في الظاهر، ولذلك فإن مثلهم مع المسلمين - كما يزعمون - مثل المبتدعة مع أهل السنة في الإسلام !. يقول الشيخ "محمد عبده"[2] (إن الكتابية ليس بينها وبين المؤمن

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١١٠/١). صالح الجعفري، تحقيق الدكتور/ محمود قدح، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/١٩٩٨م، مكتبة العبيكان، الرياض. وانظر (٦٥١/٢ وما بعدها) فقد ذكر أربعا وثمانين بشارة، وقال: (فهذه أربع وثمانون بشارة عن الأنبياء، وأتباع الأنبياء، وقد تضمنتها كتب الله المنزلة من لدن إبراهيم الخليل إلى أتباع المسيح عليه السلام منوهة باسم محمد صريحاً، واسم أرضه التي يخرج منها، وبلده التي نشأ بها، مصرحة بتعظيم شأنه وتفخيم أمره، شاهدة بأنه عليه السلام خاتم الأنبياء... وأن دينه خير الأديان، وشريعته خير شريعة، وملته أفضل ملة، وأمته أصدق أمة، وأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع،وأنها لا تنسخ بل تبقى ما بقيت الدنيا) المرجع نفسه (٧٢٢/٢)

وانظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية (٨٢-٩٢، ١٠٩-١١٢). أحمد بن علي القرافي، تحقيق عبد الرحمن دمشقية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م. الجواب الصحيح (٣١٥/٣) وما بعدها. منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب (٨٠) وما بعدها. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٥١) وما بعدها. تنبيه اليقظان (٩١-٩٤) عبد القادر الكيلاني، تحقيق أبو بكر عبد الرازق، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٢هـ /١٩٩١م، دون ذكر لرقم الطبعة، المناظرة الأولى (٨٨ - ١١٦) جمع علي الجوهري، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة (١١٥-١٢٩، ١٩٦-٢٠٠). علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٢) الشيخ محمد عده بن حسن، مفتي الديار المصرية، له العديد من المؤلفات منها: رسالة التوحيد، شرح نهج البلاغة، الإسلام والرد على منتقديه، ولد في مصر سنة ١٢٦٦هـ/ ومات سنة ١٣٢٣هـ. انظر: الأعلام (٢٥٢/٦ - ٢٥٣). وانظر ما كتبه عنه الدكتور محمد محمد حسين في كتابه: الإسلام والحضارة الغربية (٨٨) وما بعدها.

كبير مباينة... والفرق الجوهري العظيم بينهما، هو الإيمان بنبوة محمد ﷺ، ... والذي يؤمن بالنبوة العامة لا يمنعه من الإيمان بنبوة خاتم النبيين إلا الجهل بما جاء به... أو المعاندة والجحود في الظاهر، مع الاعتقاد في الباطن... فإذا كان الفرق بيننا وبين أهل الكتاب يشبه الفرق بين الموحدين المخلصين العاملين بالكتاب والسنة، وبين المبتدعة الذين انحرفوا عنهما، فكيف يكون أهل الكتاب كالمشركين في حكمه تعالى) [1]. وهذا كلامٌ منكرٌ، لكنه صدر عن شخصٍ لا يستغرب صدورهُ منه.

ويزعم أحدهم أن مسألة الإيمان بنبوة نبينا محمد ﷺ الفارق الوحيد بين المسلمين وأهل الكتاب، وهذا أمر لا إشكال فيه فهو أمر قابل للحوار. يقول: "محمد حسين فضل الله": (إن كل المفردات اليهودية المسيحية - مع التحفظ في بعض التفاصيل - هي مفردات إسلامية، مع الفارق في مسألة الإيمان بنبوة النبي محمد ﷺ، إذاً في مثل هذه الدوائر ليس هناك مشكلة كبيرة إلا في تفاصيل الإيمان بالله الواحد، ومسألة الرسالة، وهذا أمرٌ قابلٌ للحوارِ) [2].

وهذا على سبيل المثال وإلا فإن خلطهم وخبطهم وأقوالهم في هذا الأصل كثيرة[3] وعجباً لأمرهم ما أشد جرأتهم ! وعجباً كيف أجازوا لأنفسهم القول: إن من أشرك بالله تعالى، وأنكر نبوة محمد ﷺ يكون من أهل التوحيد والإسلام !! بينما الذي تدل عليه النصوص الشرعية أن من لم يؤمن برسالة نبينا محمد ﷺ ويعتقد أنها ناسخة لكل الشرائع السابقة فهو كافر، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وليعلم هؤلاء أنه لا يجوز وصف من لم يتبع شريعة محمد ﷺ ويؤمن بها بأنه مسلم، أو متبع لملة إبراهيم عليه السلام، ولهذا فليحذر دعاة الحوار مع أهل الكتاب مثل هذه المزالق، فإن خطرها على الدين عظيم، وهي مخالفة صريحة لأصوله، ولمقتضى الإيمان بالله ورسوله ﷺ، وهذا الموضوع متلازم مع الموضوع الثالث الذي يجب أن يكون في مقدمة موضوعات الحوار مع أهل الكتاب.

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، الإسلام والوحدة القومية (٦٥) من دعوة التقريب بين الأديان (٢/ ٦٦٣). ومما يذكر أن "محمد عبده" من أوائل من دعا إلى التقريب بين الأديان وذلك باتفاقه مع القسيس الإنجليزي "إسحاق تيلور" أثناء نفيه بالشام سنة ١٨٨٣م. انظر: الإسلام والحضارة الغربية (٢٢٣).

(٢) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي (٤٤) من دعوة التقريب بين الأديان (٢/ ٦٦٤).

(٣) انظر لمزيد من أقوالهم: دعوة التقريب بين الأديان (٢ / ٦٦٥).

الموضوع الثالث: دعوتهم إلى الإيمان بالقرآن العظيم

يجب على المحاوِر المسلم دعوة من يحاوره من أهل الكتاب إلى الإيمان بالقرآن الكريم، وقد جاء الأمر بوجوب إيمانهم به، فقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ [البقرة: ٤٠-٤١].

وعلى المحاور المسلم أن يتخذ من إقرارهم بالتوراة والإنجيل دليلاً له على وجوب إيمانهم بالقرآن العظيم؛ لأن من صدق بالتوراة والإنجيل وفيهما البشارة بمحمد ﷺ، يلزمه الإيمان به وبما جاء به، فإن في هذا إيمانًا بالتوراة والإنجيل، والتكذيب به ﷺ وبما جاء به تكذيب بهما. يقول "الطبري": (ويعني بقوله "بما أنزلتُ" ما أنزل على محمدٍ ﷺ من القرآن، ويعني بقوله "مصدقاً لما معكم" أن القرآن مصدقٌ لما مع اليهود من بني إسرائيل من التوراة، فأمرهم بالتصديق بالقرآن وأخبرهم جل ثناؤه أن في تصديقهم بالقرآن تصديقاً منهم للتوراة؛ لأن الذي في القرآن من الأمر بالإقرار بنبوة محمد ﷺ وتصديقه، واتباعه نظير الذي من ذلك في الإنجيل والتوراة، ففي تصديقهم بما أنزل على محمدٍ تصديق منهم لما معهم من التوراة، وفي تكذيبهم به تكذيب منهم لما معهم من التوراة) [(١)].

فهذا أصل أصيل في موضوعات الحوار مع أهل الكتاب، فيجب على دعاته والكتبة فيه أن يبيّنوا ذلك ولا يتغافلوا عنه، ويهتموا به ويدعوا إليه، فإن الحق فيه وماذا بعد الحق إلا الضلال.

الموضوع الرابع: دعوتهم لترك كل عقيدة باطلة يعتقدونها

لا شك أن هذا الأصل يمكن إدراجه ضمن الأصول السابقة، ولكن لكثرة ضلال أهل الكتاب أفردته بالحديث، وكما هو معلوم فإن مزاعم أهل الكتاب كثيرة، منها ما يتعلق بالخالق جل وعلا، ومنها ما يتعلق بالملائكة عليهم السلام، ومنها ما يتعلق بأنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام، ومن ثم فعلى من يحاورهم أن يكون على درايةٍ ومعرفةٍ بآرائهم

(١) جامع البيان (١ / ٢٥١). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١ / ٣٧٣).

الباطلة، وكيفية الرد عليها، وكشف مزاعمهم فيها، وعليه أيضاً أن يتخذَ من نصوص الكتاب والسنةِ منهجاً في ردِّ باطلهم وكشف زيفهم، وهذه إشاراتٌ مختارةٌ لبعض مزاعمهم.

أولا: زعم اليهود والنصارى أن العزير والمسيح عليه السلام أبناء الله تعالى

مما يجب على المحاور المسلم عند حواره لأهل الكتاب أن يبيّن لهم بطلان ما يزعمونه ويدّعونه في الإله تبارك وتعالى، أو في أحدٍ من خلقهِ، فهذا من الموضوعاتِ التي لا يسع المحاور المسلم تجاهلها أو التغافل عنها، وقد أبطل تبارك وتعالى زعمهم وأبان كفرهم، فقال جل وعلا: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقولهم هذا مجرد زعم لا دليل عليه ولا برهان، ولا حجة ولا بيان، وقد نفى الله سبحانه وتعالى عن نفسه اتخاذ الولد، فقال جل شأنه: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ثم إن الأناجيل أقرّت بأن عيسى عليه السلام نفى عن نفسه الألوهية(١)، ومن ذلك قوله - عندما سئل عن الوصية الأولى - (الوصية الأولى هي: اسمع يا إسرائيل: إن الرب إلهنا هو الرب الأحد، فأحب الرب إلهك، بكل قلبك، وكل نفسك، وكل ذهنك، وكل قوتك) (٢).

ومما يكذب هذا الزعم ويبطله قولهم: إن عيسى عليه السلام عُمد من قبل يوحنا المعمدان(٣)، والسؤال البدهي: إذا كان عيسى عليه السلام قد جاء مخلصاً، ليطهر البشرية من لوازم الخطيئة، فهل كان له ذنب حتى يُعمد ؟!! وهل الإله يحتاجُ إلى تعميد؟!!

(١) ولمزيد عن بطلان عقيدة النصارى في القول ببنوة عيسى عليه السلام ودحضها. انظر: الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام (١٠٨-١٣٤). دار زهراء الشرق، القاهرة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٢) إنجيل مرقس ١٢ / ٢٩ – ٣٠.

(٣) انظر: إنجيل متى ٤ /١-١١.

والمقصود أن المحاور المسلم يتخذ من هذه المزاعم والفضائح[1] التي جاء بها اليهودُ والنصارى حجة على بطلان ما هم عليه، ووجوب تركهم له وإذعانهم للحق والتسليم به، وهذا يجعل المحاور المسلم أكثر ثباتاً وإصراراً على أن الحقَ في خلافِ ما هم عليه.

ثانيا: زعمهم قصر الهدى عليهم

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٥].

ذكرت الآية الكريمة زعم أهل الكتاب وبيّنت بطلانه، وأوضحت الحق الذي يجب قوله واعتقاده، وهذه من الآيات التي يجب استحضارها دوماً في محاورة أهل الكتاب؛ لأنها ذكرت زعمهم ثم أبطلته، فحُقّ لكل من يحاورهم أن يعلم حقيقة النفسية التي يعيشون بها، فهم يجهدون أنفسهم في جذبِ الناس إلى دينهم، ويعتقدون أنهم على الهدى، بل لا هدى إلا هداهم، ومن أراده فعليه أن يتقرب إليهم، ويتقبل منهم، وهذا ما يذكرونهُ في مؤتمراتِ الحوار والملتقيات المختلفة. فيقولون: إن الحقَ معهم ولكنهم لا يدّعون أنه كله معهم[2]!! ويظهر ذلك أيضاً بالنظر في أهدافهم من الحوار، لهذا يجب على كل من يحاورهم إدراك هذه الحقيقة، ومتى أدركها صعُب استغفالهُ أو استمالتهُ، وسهُلَ عليه بيان ضلالهم وإبطال زعمهم، ودعوتهم إلى الحق الذي كان عليه كافة أنبياء الله تعالى وأتباعهم، وهذا ما بيّنته الآية التي تلي الآية السابقة، قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

---

(١) انظر ما ذكره صاحب كتاب: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل تحت عنوان: الباب التاسع في إثبات الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود (٢/ ٥٢٧-٦٤٧). وقد ذكر ثلاثاً وتسعين فضيحة، ثم قال: (وإنما أوردنا ما أوردنا من ذلك كسراً لحجج النصارى، وهدماً لأباطيلهم). المرجع نفسه (٢ / ٦٤٨).

(٢) يقول القس الألماني "هانس كونج": إنه يعتقد - كرجل دين مسيحي - أن المسيحية هي الدين الصحيح، إلا أنه يسلم أنها لا تملك كل الحقيقة، وقال هذا الكلام أثناء مشاركته في الملتقى الإبراهيمي. انظر: دعوة التقريب بين الأديان (٢ / ٩٢١).

وفي هذه الآية علّم الله تعالى المؤمنين طريق الإيمان[1]: الإيمان به تعالى، والإيمان بأنبيائه ورسله جميعاً عليهم السلام، وعدم التفريق بينهم، أي: الإيمان ببعض والكفر ببعض كما فعلته اليهود والنصارى، والإيمان بما أنزل عليهم، وأن هذا هو الإسلام الذي يجب على كل أحد أن يأخذ به ليكون من المهتدين.

ثم قال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وهنا يختم جل جلاله هذه المحاورة ببيان أن المقياس الحقيقي لإيمان هؤلاء أن يؤمنوا بمثل ما آمن به المؤمنون الصادقون في إيمانهم، (وإن لجوا في جدالهم الباطل، وحوارهم الفاسد، وأعرضوا عن الحق، فاعلموا أنهم في شقاق وخلاف من أمركم، وسيكفيكم الله شرورهم، وينصركم عليهم) [2].

ومما سبق يتبين أن هؤلاء رغم ضلالهم يزعمون أنهم أهل الهدى، ويدعون إلى باطلهم، ويصرون على أن حوارهم إنما هو من أجل خدمة دينهم، بينما تجد كثيراً من المسلمين الذين يكتبون عن الحوار ويدعون إليه، يغفلون هذا الجانب، بل إن بعضهم يقول: إن الحوارَ لا شأن له بالمسائل الدينية، بل إن الدينَ لا يصلح أن يكون مادة للحوار[3].

فعجباً لأمرهم ! أمة الضلال تدعو لضلالها وتطلب من وراء الحوارات تحقيق أهدافها، ونشر أفكارها، بينما أصحاب الحق والهدى يتنكرون لهما، ويرون أن إدخال المسائل الدينية في الحوارات إفشال لها !! وإن تعجب فعجب لكثرة اضطرابهم واختلافهم، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، فتارة لا يرون الحوار في المسائل الدينية، وتارة يرون إمكانية الحوار مع ما يختلفون فيه مع أهل الكتاب مثل نبوة نبينا محمد ﷺ !!

---

(١) انظر ما ذكره البغوي في: معالم التنزيل (١ / ١٦٣-١٦٥). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، دون ذكر لرقم الطبعة.

(٢) أدب الحوار في الإسلام (١٨٤). الدكتور /محمد سيّد طنطاوي، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، الأزهر.

(٣) انظر: دعوة التقريب بين الأديان (٢ / ٧٣٨ – ٧٤٠). بمراجعه.

ثالثا: زعمهم أن إبراهيم عليه السلام كان يهوديا أو نصرانيا، وأنهم ورثة دينه عليه السلام (الملتقى الإبراهيمي)[1]:

يزعم أهل الكتاب أن إبراهيم عليه السلام كان يهودياً أو نصرانياً، ثم تجد بعض دعاة الحوار وكتابه من المسلمين، أو ممن ينتسب للإسلام، ينطلقون من هذا المبدأ ويرددون القول: إن هذه الحوارات إنما هي لاجتماع المؤمنين الصادقين من أتباع الديانات الثلاث التي تنتسب لإبراهيم عليه السلام، كما يقولون !!

فيقال لهؤلاء: إن هذا الزعم من أهل الكتاب في انتسابهم لإبراهيم عليه الصلاة والسلام أبطله الله تعالى بقوله: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وقد اجتمع في هذه الآية الكريمة العديد من الأساليب التي ينبغي للمحاور المسلم إدراكها، واستخدامها في حواره مع أهل الكتاب عند إبطاله لهذا الزعم " أديان التوحيد الثلاثة " يقول "الرازي": (إنما أنكر الله تعالى ذلك القول عليهم لوجوه أحدها: لأن محمداً ﷺ ثبتت نبوته بسائر المعجزات، وقد أخبر عن كذبهم في ذلك فثبت لا محالة كذبهم فيه، وثانيها: شهادة التوراة والإنجيل على أن الأنبياء كانوا على التوحيد والحنيفية، وثالثها: أن التوراة والإنجيل أنزلا بعدهم، ورابعها: أنهم ادعوا ذلك من غير برهان، فوبخهم الله تعالى على الكلام في معرض الاستفهام على سبيل الإنكار والغرض منه الزجر والتوبيخ وأن يقرر الله في نفوسهم أنهم يعلمون أنهم كانوا كاذبين فيما يقولون، أما قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ ﴾ فمعناه أن الله أعلم وخبره أصدق وقد أخبر في التوراة والإنجيل وفي القرآن على لسان محمد ﷺ أنهم كانوا مسلمين مبرئين عن اليهودية والنصرانية)[2]. كما بيّن سبحانه وتعالى بطلان زعم أهل الكتاب بقوله: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ

(١) هذا عنوان أحد المؤتمرات التي نظمها المعهد الدولي للحوار بين الحضارات، وهذا المعهد أسسه "روجيه جارودي" وهذا التسمية جاءت عن طريقه أيضا. انظر: دعوة التقريب بين الأديان (٢ / ٩١١).

(٢) التفسير الكبير (٢ / ٧٧).

ﭐﻟۡﻤُﺸۡﺮِﻛِﻴﻦَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٧] فماذا بقي لأهل الحوار ودعاته من عذر في كشف حقيقة دعوى اليهود والنصارى ؟!!

ثم يقال: إن الله جل وعلا أخبر عن أولى الناس بإبراهيم عليه السلام، فقال: ﴿ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٨].

فالذين ورثوا إبراهيم عليه السلام وراثة حقة هم الذين اتبعوه، وقرر القرآن أن أمة محمد ﷺ هي الوارثة لملة إبراهيم عليه السلام؛ لأنها حققت فيها شروط الوراثة الإيمانية، وأسلمت لله تعالى عن إخلاص وإيمان ويقين[١].

وجاء في الإنجيل ما يبيّن حقيقة من يصدق عليه أنه من أتباع إبراهيم عليه السلام (فقال لهم: يسوع لو كنتم أبناء إبراهيم لعملتم أعمال إبراهيم...) [٢].

والمقصود أن الآيات الكريمة - ثم بعض ما جاء في كتبهم - تبطل الزعم اليهودي والنصراني قديماً وحديثاً، فعلى المسلم عند حواره لأهل الكتاب أن لا يغفل عن هذا الحكم أو يتناساه، ويستنبط من هذه الآية قاعدة في حوار أهل الكتاب وهي: أن من يشرك بالله تعالى فلا يقال: إنه من أتباع إبراهيم عليه السلام. ولهذا فإنه يجب على المحاور المسلم الحذر من أن يُستدرج إلى ما يعرف بـ "الملتقى الإبراهيمي" أو "النظرية الثلاثية" لأن مهمتها - حسب ما ذكر صاحبها[٣] - جمع جميع الناس ذوي الإيمان أيا كان إيمانهم ضد العالم الحالي، عالم اللامعنى[٤]. وهذه الدعوة ليست إلا واحدة من مكايد اليهود والنصارى، فليتنبه دعاة الحوار. يقول العلامة النادر في عصره، المميز في طرحه" بكر بن عبد الله أبو زيد": (إن الدعوة إلى

(١) الشخصية اليهودية من خلال القرآن (١٤٩). الدكتور/ صلاح الخالدي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

(٢) إنجيل يوحنا، الإصحاح ٨ / عدد ٣٩، ٤٠. وانظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٩١/٢) لابن حزم، تحقيق الدكتور/ محمد إبراهيم نصر، الدكتور/ عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، السعودية.

(٣) المفكر الفرنسي " روجيه جارودي".

(٤) نحو حرب دينية (٧٣). نقلاً من كتاب: دعوة التقريب بين الأديان (٢ / ٩١٨).

هذه النظرية الثلاثية: تحت أي من هذه الشعارات إلى توحيد الإسلام الحق الناسخ لما قبله من الشرائع، مع ما عليه اليهود والنصارى، من دين دائر كل منهما بين النسخ والتحريف، هي أكبر مكيدة عُرفت لمواجهة الإسلام والمسلمين اجتمعت عليها كلمة اليهود والنصارى بجامع علتهم المشتركة بغض الإسلام والمسلمين وغلفوها بأطباق من الشعارات اللامعة، وهي كاذبة خادعة، ذات مصير مروع مخوف، فهي في حكم الإسلام دعوة بدعية، ضالة كفرية، خطة مأثم لهم، ودعوة لهم إلى ردة شاملة عن الإسلام؛ لأنها تصطدم مع بدهيات الاعتقاد، وتنتهك حرمة الرسل والرسالات، وتبطل صدق القرآن، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع، وتبطل ختم النبوة والرسالة بمحمد عليه الصلاة والسلام، فهي نظرية مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام، من كتاب وسنة، وإجماع، وما ينطوي تحت ذلك من دليل، وبرهان.

لهذا فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، الاستجابة لها، ولا الدخول في مؤتمراتها، وندواتها، واجتماعاتها، وجمعياتها، ولا الانتماء إلى محافلها، بل يجب نبذها، ومنابذتها، والحذر منها، والتحذير من عواقبها، واحتساب الطعن فيها، والتنفير منها، وإظهار الرفض لها، وطردها عن ديار المسلمين... وتغريبها إلى غَرْبها، وحجرها في صدر قائلها...) [1].

ومما يؤيد ذلك أن الملتقى الإبراهيمي - في بداية أمره - قد ضم خمسين مشاركاً من اليهود والنصارى والمسلمين، أو ممن ينتسب إلى الإسلام، والعجب أن موضوعات المؤتمر التي طرحت كانت تنادي بغير الحق، فنسبت اليهود والنصارى إلى إبراهيم عليه السلام، ثم طالب "المتآمرون" كل المؤمنين الصادقين من كل الأديان الثلاثة!! على الاجتماع والعمل من أجل مصلحة الإنسانية[2].

فعلى المحاور المسلم التنبه وعدم الخلط بين دعوة أهل الكتاب للحوار وغايتهم منه، وبين الحوار الذي يدعو إليه الإسلام بقواعده وضوابطه وشروطه.

---

(١) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان (٢٢).

(٢) انظر عن الملتقى وبعض الأوراق التي قدمت فيه. كتاب: دعوة التقريب بين الأديان (٢ / ٩١٩).

رابعا: إبطال ونقض مزاعم النصارى في القول بالتثليث والصلب.

مما ينبغي الاهتمام به عند حوار أهل الكتاب أن يدعوهم من يحاورهم إلى الحق الذي جاء به القرآن في إبطال مزاعمهم، ويتخذ من تلك الموضوعات موضوعاً لحواره معهم، ويجعل من أساليب القرآن نورا يستضيء به في طريقه حال حوارهم،ومن هذه المزاعم والموضوعات التي يُحاورون فيها وتُقام عليهم الحجة بإبطالها وبيان فسادها، قولهم: إن اللهَ تعالى ثالثُ ثلاثة، وقد أبطل الخالق جل وعلا هذا الزعم، وحكم على قائله بالكفر، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٣].

كما جاءت الآيات البينات بذكر موقف عيسى عليه الصلاة والسلام من دعاوى النصارى في القول بألوهيته، فقال جل وعلا: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

والمقصود أن فكرة التثليث باطلة بالنصوص الشرعية، والأدلة العقلية،[(١)] والأقوال الواردة عن المسيح عليه السلام [(٢)]، ومما يؤيد ذلك أن بعض طبعات الإنجيل في الآونة الأخيرة بدأت تختفي منها فكرة التثليث،[(٣)] كما أعلنت بعض طوائفهم أن هذه العقيدة لم ترد في الكتاب

(١) انظر: إظهار الحق (٣ / ٧٢٥-٧٣٥). رحمة الله الهندي، تحقيق الدكتور/ محمد أحمد ملكاوي، دار أولي النهى، دار الوطن للنشر، ١٤١٢هـ.

(٢) انظر: هداية الحيارى (١٤٥-١٤٨). إظهار الحق (٣ / ٧٣٦-٧٥٠).

(٣) انظر: الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف (٨٥-٨٨). اللواء أحمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي، دون ذكر لرقم الطبعة، أو تاريخها.

المقدس،[1] ويضاف لذلك أن الأناجيل والرسائل التي يعتمدها النصارى، فيها الكثير من الأدلة على أن المسيح عليه السلام عبد الله ورسوله،[2] وخلق من خلقه[3]، ومما يدل على ذلك نبوته وإثبات رسالته، وفي ثبوت ذلك دليل على امتناع ألوهيته عليه السلام [4].

ومما يدل على فسادها كثرة اختلاف أهلها فيها، بل عدم فهمهم لها، وقولهم: إن ما يذكرونه عنها الآن إنما هو على قدر طاقة عقولهم، ويرجون فهمها أكثر مستقبلا، عندما تتجلى الحقائق[5]. وقد بيّن العلماء فساد أقوالهم وتناقضهم، وما يلزم من فساد على كل قول يقولونه فيها[6].

وإذا ثبت بطلان ألوهيته عليه السلام فإن فكرة التثليث تبطل من أصلها، ومن المعلوم أن العقيدة النصرانية في أصلها تقوم على التوحيد، ونبذ الشرك، وما أقرّت عقيدة التثليث إلا في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م[7]، عن طريق الأساقفة، وإمبراطور الدولة الرومانية حينذاك، الذي

---

(١) كما هو الحال عند "شهود يَهْوَه" انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم (٢٢٨-٢٢٩). سعد رستم، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا. وإن قال البعض بوجودها فحدده بموضعين وبإشارات بسيطة كما ذكر ذلك "أندريه نايتون" حيث قال: (من الغريب أن عقيدة التثليث لا تذكر في الأناجيل الرسمية الأربعة إلا قليلا، وحين تذكر فإنها تبقى ملتبسة). الأصول الوثنية للمسيحية (٤٣)

(٢) إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٧ / عدد ٣.

(٣) انظر ما ذكره صالح بن الحسين الجعفري في كتابه: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/ ١١٧-١٥٩). وقد ذكر عشرين دليلاً على عبوديته لله تعالى، وأنه ليس بإله.

(٤) انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١ / ١٦٣) وما بعدها.

(٥) انظر: محاضرات في النصرانية (١٢٥). أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية (٩٦). الدكتور/ سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار العلماء للنشر والتوزيع، القاهرة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٦) انظر ما ذكره الباقلاني - عن خلافهم في معنى الأقنوم، وما يلزمهم من الباطل تجاه كل قول وما يلزمهم من تناقضات في هذه المقولة - في كتابه: التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة (٨١ - ٨٦). ضبط محمود محمد الخضيري، محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٧) انظر عن هذا المجمع وغيره: الجواب الصحيح (٣ / ٢٣) وما بعدها. أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية (٣٧ – ٣٨). وعن المجامع الأخرى (٣٩ – ٥٥).

أراد أن تتفق النصرانية مع أصول دينه الوثنية[١]،وهذا أمر أقر به أهلها، حيث أظهرت بعض الدراسات النصرانية الصلة الوثيقة بين النصرانية والوثنية. يقول"أندريه نايتون": (ونحن في دراستنا لتاريخ الأديان اليوم لا نستطيع أن ننكر ما بين المسيحية والوثنية من صلات وثيقة وأواصر متينة) [٢].

وعن ارتباط التثليث بالوثنية. يقول "كارل غوستاف يونغ": (إن التثليث ليست فكرة مسيحية أساساً، وإنما جاءت من الأديان الوثنية القديمة)[٣]، ولكثرة القائلين بهذه الفكرة فإن بعض المفكرين النصارى - كما يقول "إدغا ويند": خاف من اختفاء التثليث النصراني بين الكثرة الكاثرة من التثليث الوثني[٤].

وخلاصة الأمر أن هذه أقوال أهلها فيها وذمهم لها، وربطهم تلك العقيدة بالوثنيات السابقة عليها، فلماذا تختفي من مؤتمرات الحوار الآن؟! ولماذا يذمها أهلها ويذكرون تهافتها ولا تكاد تجد لها ذكراً في مؤلفات دعاة وكتبة الحوار من المسلمين ؟!! وكأنهم خجلون أو خائفون !! مع أن المسلم هو الأحق بإبطالها وردها وبيان فسادها، وجعلها موضوعاً من موضوعات الحوار معهم لبيان الحق ورد الباطل.

أما عقيدة الصلب فمن المعلوم أنها عند النصارى ارتبطت بمسألة الخطيئة[٥] التي وقعت من آدم عليه السلام، وبمقتضى العدل لابد من أن تعاقب ذريته عليه السلام، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله تعالى أن يغفر لهم، وكان الطريق لذلك أن يرسل ابنه - كما يزعم النصارى - ليصلب ويقتل تكفيراً عن تلك الخطيئة، فيكون بذلك مخلصاً وفداء للجنس البشري.

---

(١) انظر: الأصول الوثنية في المسيحية (٤٣). إدغار ويند، كارل غوستاف يونغ، ترجمة سميرة عزمي الزين، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية. أصلح الأديان (٨٩). ويقول: إن كثيرا من فلاسفة النصارى وكتابهم، يرون أن النصرانية ليست ديانة عيسى عليه السلام (وإنما هي ديانة بولس لفقها من مختلف الديانات الوثنية والفلسفات في عصره). المرجع نفسه، ذات الصفحة.

(٢) انظر: الأصول الوثنية للمسيحية (١٩). وانظر ص: (٢٠، ٣٢).

(٣) الأصول الوثنية (٩٣). وانظر (٤٣-٤٧) وانظر حديثه عنها :عند بابل، و مصر، اليونان، من ص(٨١-٩٠).

(٤) الأصول الوثنية للمسيحية (٧٣). وانظر: الميزان في مقارنة الأديان (٤١٧-٤١٨).

(٥) عن الخطيئة وموقف الإسلام منها، وما نشأ عنها من عقائد، انظر: الخطيئة الأولى (١٧٣) وما بعدها.

وهذه الفكرة كَفَرَ بها كثير من أهلها، يقول "ردولف بولطان": إن الإنسان (لا يستطيع أن يفهم كيف يكون الموت عقاباً على الخطيئة فالموجودات الإنسانية معرضة للموت حتى قبل أن ترتكب أي خطيئة، وإرجاع الموت الإنساني إلى سقوط آدم هو محض هراء؛ لأن الذنب يتضمن مسألة شخصية، وفكرة الخطيئة الأصلية باعتبارها عدوى موروثة هي فكرة أخلاقية زائفة، ولا عقلانية، ومحالة أو عبثية) [(١)].

ويقول: (إذا كان المسيح الذي مات بهذه الطريقة هو حقاً ابن الله المتواجد قبل الوجود فماذا يعني الموت بالنسبة له ؟ من الواضح أن الموت لن يخرج في هذه الحالة عن كونه شيئاً تافها بالنسبة له، مادام كان يعرف سلفاً أنه سيقوم ثانية بعد ثلاثة أيام) [(٢)].

ثم يتساءل: هل هناك حتمية أو ضرورة تجعل الخلاص يتخذ هذا الشكل بالذات ؟ هل هناك حتمية أو ضرورة تجعل الحياة الإنسانية والوجود الإنساني الأصيل يتحققان على هذا النحو بالذات دون غيره ؟[(٣)]

ويقول "المسيو آرنست دي يونس": (إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح عليه السلام وليست من أصول النصرانية) [(٤)]. وقد كثرت أقوالهم الدالة على نكارتها وبطلانها[(٥)] وكثرة تناقضها[(٦)].

وهذا قليل من كثير من أقوال النصارى في هذه العقيدة الباطلة، فلماذا لا تجد لها ذكراً في كتب ومقالات ومؤتمرات ومنتديات دعاة الحوار، مع أن فساد هذه العقيدة ثبت بالنص الشرعي، والدليل التاريخي، والبرهان العقلي، والكشف العلمي، يضاف إليه تناقض

---

(١) جذور إلحادية في مذاهب لاهوتية (٢/٥٣) الدكتور/ وهبة أبو العلا، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، مكتبة مدبولي.

(٢) جذور إلحادية في مذاهب لاهوتية (٢ / ٥٤).

(٣) جذور إلحادية في مذاهب لاهوتية (٢ / ٥٥).

(٤) نقلا من كتاب الإسلام والأديان (٢٢٦). الدكتور /مصطفى حلمي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية.

(٥) انظر: الإسلام والأديان (٢٢٦ -٢٢٧) وانظر عن الحادثة وبطلانها: المرجع نفسه (٢٢٠- ٢٢٦).

(٦) انظر عن ذلك: حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة (١٨٥-١٨٧).

طوائف النصارى وأناجيلهم المعتمدة عندهم في الحديث عنها[1]. أبعد هذا يسوغ لمن يدعو للحوار أن يقول: إن حوارنا مع أهل الكتاب لا علاقة له بالمسائل العقدية، أو المسائل الدينية؟!! وفي ذات الوقت يقول: إن الكل على اتفاق في الأصول !!

أبعد هذا الحشد الكبير من الأدلة على بطلان هذه العقيدة عند المسلمين وعند أهلها لا تجد في كثير من الكتابات أدنى ذكر لها، ولبيان حقيقتها ووجوب كفر النصارى بها ؟!!

أبعد هذا يسوغ لقائل أن يقول: (يجب أن ينأى هذا الحوار والحوار بين الأديان بعامة عن استهداف التوحيد بين دينين أو أكثر، وهذا يعني ألا ينشغل الحوار بمسائل الاعتقاد، بل ينطلق من احترام كل طرف لعقيدة الآخر، والتسليم بمبدأ الاختلاف، ومبدأ حرية الاختيار... هدفٌ رئيس لهذا الحوار أن يجهر بالحق في المسائل والأمور التي تهم الناس، وأن يذكر بالمبادئ والقيم العليا التي يجب الالتزام بها...فمنها ما يتعلق بالموقف العقدي المبدئي من قضايا بعينها، في مقدمتها قضية مقاومة العنصرية والتمييز العنصري، وقضية العدل الاجتماعي، وقضية الحرية والمسؤولية، وقضية السلام القائم على العدل) [2].

يا لهذا القول المطالب باحترام كل طرف لعقيدةِ الآخر! أي عقيدة يتحدث عنها ؟! وأي عقيدة يطالب باحترامها ؟! وأي قيم عليا يحث الكاتب على الالتزام بها ؟!! وقد تبيّن باختصار بعض أقوالهم في أخطر عقائدهم التثليث والصلب، أينتقدونها ويسخرون منها، بل يكفرون بها، ونحن نُطالَب باحترامها ؟!!

خامسا: عرض كافة مزاعمهم وشبههم وردها وبيان الحق الذي جاء به الإسلام

إذا كان من المسلّم به أن أهل الكتاب يكيدون لهذا الدين وأهله، وهذا الحكم عليهم إنما هو من الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فإذن هذه حقيقة لابد من الإقرار بها، وحينئذ يقال لأهل الحوار - مع التسليم بمشروعيته

(١) انظر: الجواب الصحيح (٣/٤٦-٤٧).: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/٣٣١-٣٤٨). الميزان في مقارنة الأديان (٢٢٣).

(٢) مجلة الإسلام اليوم (١٢ / ٤٠). !!!! وكاتب المقال: " أحمد صدقي الدجاني ".

بضوابطه وقواعده -: إن من الإجحاف الشديد أن يتناسى المسلم الذي يحاور أهل الكتاب هذه الحقيقة، ويمد يده كما لو كان يستجدي قبولاً له، هزيلاً ضعيفاً كما لو كان ينشد الشفاء ممن يسقيه الداء، مع أن المسلم هو الأقوى بما معه من الحق والهدى، وعلى هذا فيجب عليه أن يتتبع ما حكاه الله تعالى عنهم، وما ذكره في القرآن العظيم من مزاعمهم، وما يثيرونه من شبهات وتشكيك كما هو واقعهم، ثم يقوم ببيان بطلانه والرد عليه، وبيان الحق الذي يجب أن يكون أهل الكتاب وغيرهم عليه.

وإذا كان من المعلوم أن المعاندين يحاولون دوماً صد الناس عن دين الله تعالى، أو ردهم عن دينهم بعد أن دخلوا فيه، فإن الله تعالى شرع لعباده المؤمنين مجاهدتهم بالسنان واللسان، ولهذا فعلى المحاور المسلم أن يتخذ من النصوص الشرعية أصولاً له في حواره، يحدد من خلالها قواعده وموضوعاته، حتى يحقق الحوار أهدافه وغاياته، وإذا كان من يدعو للحوار يستدل بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. فيقال لهم: أين أنتم من الآيات الأخرى التي تذكر أقوال أهل الكتاب ومزاعمهم ثم تجيب عنها، وتكشف زيفها، وتحكم ببطلانها، وتبيّن حال قائلها، فاجعلوا ذلك منهجاً لكم، وكما اتخذتم من الآية منهجا في كيفية حواركم معهم - وحق لكم ولكن ليس بطريقتكم - فكذلك اجعلوا من الموضوعاتِ التي ذكرها القرآن في حوارهِ مع أهل الكتاب موضوعات لكم في مؤتمراتكم، ومنتدياتكم، ولقاءاتكم، وكتاباتكم، لتعرِّفوا أهل الكتاب أهدافكم وغاياتكم من محاوراتكم لهم.

الموضوع الخامس: تحريفهم لكتبهم وتناقضها

بيّن تعالى أن أهل الكتاب قد حرفوا وبدلوا في كتبهم، وألبسوا الحق بالباطل، وأخفوه وكتموه، وقد كشف القرآن حال أهل الكتاب في هذا الجانب بخمسةِ أمور: لبس الحق بالباطل، وكتمان الحق، وإخفاء الحق، وتحريف الكلم عن مواضعه، ولي اللسان به ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره[1]. ومما ذكره تعالى عن تحريفهم قوله جل وعلا: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا

(١) انظر: هداية الحيارى (٤٩).

فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النساء: ٤٦].

ولكون كتبهم محرفة وهم إنما يستدلون على باطلهم بما فيها، فعلى المحاور المسلم أن يدرك أمر هذا التحريف، ويتخذ من ذلك طريقاً إلى بيان فساد ما يذهبون إليه، وذلك بإظهار تحريفها، وشدة تناقضها، وكثرة تعارضها مع الأدلة الشرعية، والعقلية، والبراهين العلمية الحديثة، مما يجعل الاستدلال بما فيها غير مقبول. وقد اهتم علماء الإسلام بذلك فبينوا التحريف الواقع في التوراة والإنجيل[١]، واستخدموا هذا الأسلوب في محاوراتهم ومناظراتهم لأهل الكتاب فأقاموا الحجة عليهم[٢] وأسكتوهم، بل هرب بعضهم بعد هزيمته،[٣] فحري بدعاة الحوار ومن يهتم به، أن يتخذ من هذا التحريف والتناقض في كتبهم برهاناً على بطلان أقوالهم، وحجة له في رد مزاعمهم.

ولم يعد خافياً على أصحاب الدراسات المتعلقة بالأديان، التحريف والتناقض الذي يشتمل عليه الكتاب المقدس - كما يسمونه - بقسميه القديم والجديد، وقد استفاضت الدراسات في بيان انقطاع سندها، وتحريفها، وتناقضها، سواء قديما[٤] أم حديثاً[٥].

---

(١) مثل: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/٢٨٥-٣٢٥). هداية الحيارى. على سبيل المثال:(١٠٦) ومابعدها.

(٢) ممن استخدم هذا الأسلوب وبكثرة ودقة أحمد ديدات كما ظهر من بعض كتبه، وبعض مناظراته، انظر على سبيل المثال: مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، حيث اهتم كثيراً بما جاء في كتابهم وبين التناقضات الكثيرة التي تحملها الأناجيل بخصوص مسألة الصلب. وانظر أيضا: مناظرتان في استكهولم.

(٣) هذا ما حدث مع القس الدكتور فندر في مناظرته مع الشيخ رحمة الله الهندي، حيث رحل فندر عن بلاد الهند بعد هزيمته. انظر: مقدمة المحقق لكتاب إظهار الحق (٤٣). وقد اعترف فندر بوقوع النسخ والتحريف في العهدين.

(٤) من الأمثلة على ذلك: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢ / ١٣) وما بعدها. تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/٢٨٣ - ٣٢٧). الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم.

(٥) مثل: إظهار الحق (١/ ١٠٩) وما بعدها. (٢/٤٢٧) ومابعدها. الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة (٣٨) وما بعدها. الدكتورة/ سلوى ناظم، دار نون، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. يا أهل ==

يقول "صالح الجعفري" في بداية حديثه عن مواضع التحريف: (نبيّن - بعون الله - في هذا الباب من تناقض إنجيل النصارى وتعارضه، وتكاذبه وتهافته، ومصادمة بعضه بعضاً، ما يشهد معه من وقف عليه أنه ليس هو الإنجيل الحق المنزل من عند الله...) [1]. وذكر الأمثلة والأمور الدالة على ذلك[2]. ثم قال: (فهذا - رحمك الله - كتاب قد تلاعبت به بنيات الطريق، وتزاحمت به تراجمة الفرق، وولد من لسان إلى لسان، وعبث به التحريف والتصحيف في كل زمان) [3].

وإذا ثبت تحريفهم لكتبهم، وأنها لا سند لها، وأنها متناقضة، وأنها تتعارض مع ما يثبته العلم الحديث، فإن هذا يجعل المحاور المسلم على قناعة ببطلان ما يزعمونه، وفي هذه المعرفة بحقيقةِ كتبهم وتناقضها، معين له على الإقدام وعدم الإحجام، في جعل ميدان الحوار لهذه المسائل الكبرى، إظهاراً للحق ودفاعاً عنه، وإقامة للحجة ونصرة للدين.

==

الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء (١٤٨) وما بعدها. الدكتور / رؤوف شلبي،الطبعة الثانية١٤٠٠/ ١٩٨٠م،دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة. حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة (١٣١) وما بعدها. (٢٣٣) وما بعدها. الإنجيل دراسة وتحليل – الكتاب كاملاً – الدكتور محمد شلبي شتيوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، مكتبة الفلاح، الكويت. وعلى سبيل المثال راجع الصفحات (١٣) وما بعدها. (٤٦) وما بعدها. (٨١) وما بعدها. (٩٣) وما بعدها. الإسلام والأديان الأخرى (٨٩) وما بعدها. وقد عقد العديد من المقارنات بين الأناجيل في عدد من مسائل الاعتقاد التي تذكرها أنا جيل النصارى. من ذلك العشاء الأخير وعملية القبض، انظر (٩٢-٩٣). والمحاكمات وعددها (٩٤-٩٥). يوم الصلب والتحركات حتى الصلب، (٩٥-٩٦). أحداث الصلب (٩٨-١٠٠). روايات القيامة (١٠٣). روايات الظهور (١٠٤-١٠٥). روايات هلاك يهوذا الخائن (١١٠-١١١).

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١ / ٢٨٣).

(٢) انظر: المرجع نفسه (١ / ٢٨٤ - ٣٢٥).

(٣) تخجيل من حرف في التوراة والإنجيل (١ / ٣٢٥).

الخاتمة

الحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، ثم مما سبق عرضه يتبيّن الآتي:

١- أن مصطلح الجدل والحوار عرف منذ فترات تاريخية متقدمة، وإن كانت الغايات قد تختلف من طائفة لأخرى، إلا أن الأصل فيه البحث عن الحقيقة وإثباتها.

٢- بيّنت هذه الدراسة مشروعية الحوار مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وأن هذا الحكم ثابت لم ينسخ، بل النصوص تدل عليه، وتدعو إليه، خاصة عند تحقق المصلحة.

٣- أظهرت الدراسة بعض الأهداف التي يرغب أهل الكتاب في تحقيقها، ومنها خدمة عقائدهم، وضمان الاعتراف بهم، ونشر باطلهم، وجعل المسلمين يشاركونهم عباداتهم، إلى غير ذلك مما كشفت عنه مؤتمراتهم، ولقاءاتهم.

٤- تبيّن أنه يجب على المحاور المسلم أن يجعل هدفه من هذه الحوارات الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ومطالبة أهل الكتاب بالإيمان بنبينا محمد ﷺ، وبما جاء به فإن هذا هو المقصد الأسنى، والغاية الأسمى، وبغير هذا لن تزكو النفوس ولن تسعد لا في الدنيا ولا في الأخرى.

٥- بيّنت الدراسة أن المحاور المسلم إذا رغب في تحقيق أهدافه من الحوار فعليه التمسك بالقواعد والأصول التي جاءت بها النصوص الشرعية، وعليه مراعاة الأساليب القرآنية وطريقتها في حوار أهل الكتاب، ونقض مزاعمهم.

٦- يجب أن يجعل المحاور المسلم من عقائد أهل الكتاب الباطلة أهم موضوعات الحوار، ليقيم عليهم الحجة، ويبيّن الحق الذي يجب أن يكونوا عليه، ولا ينخدع بالأقوال الضالة التي تنادي باستبعاد المسائل الدينية من الحوار.

٧- تبيّن أن بعض الكتاب ودعاة الحوار قد وقعوا في زلات كبيرة، وخلطوا بين الأمور، وتجنوا على النصوص، وجاءوا بأقوال منكرة، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

٨- بيّنت الدراسة أهمية تحديد موضوع الحوار تجنباً للتشعب، واستيعابا للفكرة، ووصولاً إلى إقامة الحجة، ويكون ترتيب الموضوعات حسب أهميتها وأولويتها.

٩- أظهرت الدراسة أهمية الاستفادة مما في أيدي أهل الكتاب من أجل إلزامهم بالحق، وبيان ضلالهم وتناقضهم، وتكذيبهم بما في كتبهم، وهذا أمرٌ يدخل في القواعدِ والموضوعات لأهميته.

التوصيات:

١- الاهتمام بمسألةِ الحوار إعداداً وأسلوباً وموضوعاً ويُجعل الأصل في ذلك كتاب اللّه تعالى وسنة رسوله ﷺ.

٢- إنشاء المراكز المتخصصة في مقاومةِ عقائد أهل الكتاب، وإعداد الجيل القادر على محاورتهم، ورد باطلهم، وتكون هذه المراكز تحت إشراف أهل العلم المختصين المدركين لحقيقة أهل الكتاب شرعاً وواقعا.

٣- إنشاء مراكز متطورة، يُجلب لها المتخصصون، تقوم على جمع ما كتبه علماء الإسلام في ردودهم، ومحاوراتهم لأهل الكتاب، ثم التنسيق بين ذلك كله، وإخراجه كموسوعات في الرد عليهم، وبيان بطلان ما هم عليه، ويستخرج من كتابتهم الطرق والمناهج التي سلكوها في تقرير الحق، وإلزام أهل الكتاب به.

٤- إنشاء مراكز متخصصة لترجمة هذا التراث باللغات المختلفة ونشره، بعد تحقيقه وضبطه، لتحصل الفائدة المرجوة منه.

قائمة المراجع

١- الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان، الدكتور/ بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، دار ألفا، القاهرة، مصر.

٢- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم تحقيق ومراجعة لجنة من العلماء، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ دار الجيل، بيروت، لبنان.

٣- أدب الحوار في الإسلام، الدكتور/محمد سيّد طنطاوي، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م، الأزهر.

٤- أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، أحمد بن علي القرافي، تحقيق عبد الرحمن دمشقية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث، بيروت.

٦- إرشاد الفحول، للشوكاني، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، مكتبة الباز، مكة المكرمة، السعودية.

٧- الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف، اللواء أحمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي، دون ذكر لرقم الطبعة، أو تاريخها.

٨- الإسلام والأديان، الدكتور/ مصطفى حلمي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية.

٩- الإسلام والحضارة الغربية، الدكتور/ محمد محمد حسين، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، مكتبة ابن تيمية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

١٠- الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، أليكسي جوارفسكي، ترجمة الدكتور / خلف محمد الجراد، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

١١- أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة، أحمد عبد الغفور عطار، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، دون ذكر لرقم الطبعة، أو دار النشر.

١٢- أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، الدكتور/ سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار العلماء للنشر والتوزيع، القاهرة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٣- الأصول الوثنية للمسيحية، إدغار ويند، كارل غوستاف يونغ، ترجمة سميرة عزمي الزين، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

١٤- إظهار الحق، رحمة الله الهندي، تحقيق الدكتور/ محمد أحمد ملكاوي، دارأولي النهى، دار الوطن للنشر، ١٤١٢هـ، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٥- الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

١٦- الإنجيل دراسة وتحليل، الدكتور محمد شلبي شتيوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، مكتبة الفلاح، الكويت.

١٧- تاريخ الجدل، لأبي زهرة، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي.

١٨- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح الجعفري، تحقيق الدكتور/ محمود قدح، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، مكتبة العبيكان، الرياض.

١٩- الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، الدكتورة/ سلوى ناظم، دار نون، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٢٠- التعريفات، الجرجاني، تحقيق الدكتور/عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، عالم الكتب.

٢١- التفسير الكبير، الفخر الرازي، تحقيق دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٢٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار السعادة، دون ذكر لرقم الطبعة، أو تاريخها، أو دار النشر.

٢٣- تلخيص السفسطة لأرسطو، لخصه ابن رشد، تحقيق موفق فوزي الجبر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

٢٤- التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، للباقلاني، ضبط

محمود محمد الخضيري، محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٢٥- تنبيه اليقظان، عبد القادر الكيلاني، تحقيق أبو بكر عبد الرازق، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٢هـ /١٩٩١م، دون ذكر لرقم الطبعة.

٢٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن سعدي، تحقيق محمد زهري النجار، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ.

٢٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، دون ذكر لرقم الطبعة.

٢٨- الجامع الصغير وزيادته، للسيوطي، تحقيق الألباني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٩- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٣٠- الجدل بين أرسطو وكانط، الدكتور/ محمد فتحي عبد الله، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.

٣١- جذور إلحادية في مذاهب لاهوتية، الدكتور/ وهبة أبو العلا، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، مكتبة مدبولي.

٣٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق مجدي قاسم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م، مكتبة البلد الأمين، جدة.

٣٣- حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة، علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٣٤- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد زمزمي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، دار المعالي.

٣٥- حوار الثقافات مدخل لقراءة الآخر ونقد الذات، الدكتورة / ليلى الأحدب، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة، السعودية.

٣٦- الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد بن عبد الله القاسم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض.

٣٧- حوار مع أهل الكتاب، طبعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، محمد عبد الرحيم أبو الوفا، دار هاني الخراز للنشر والتوزيع.

٣٨- الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام، الدكتورة/ أميمة بنت الجلاهمة، دار زهراء الشرق، القاهرة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٣٩- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية.

٤٠- دعوة التقريب بين الأديان، الدكتور/ أحمد بن عبد الرحمن القاضي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية.

٤١- رسائل في العقيدة، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض.

٤٢- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٣- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥ م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤٤- سنن الدارمي، لأبي محمد الدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٥- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤٦- الشخصية اليهودية من خلال القرآن، الدكتور/ صلاح الخالدي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

٤٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٤٨- شرح عبد الوهاب بن حسين الآمدي على الولدية في آداب البحث والمناظرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١م.

٤٩- شرح الكوكب المنير، لابن النجار، تحقيق الدكتور/ محمد الزحيلي، والدكتور/ نزيه حماد، ١٤١٨ هـ /١٩٩٧م، مكتبة العبيكان الرياض، السعودية.

٥٠- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م.

٥١- الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، محمد بن صالح العثيمين، طبعة عام ١٤٣١هـ، دار الوطن، الرياض، السعودية.

٥٢- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، تحقيق الدكتور/علي الدخيل الله، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ /١٩٩٨م، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض.

٥٣- العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٥٤- العهد الجديد، دار المشرق، ١٩٩١م، بيروت، لبنان.

٥٥- العهد القديم، دار المشرق، ١٩٩١م، بيروت، لبنان.

٥٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٥٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، تحقيق الدكتور/ محمد إبراهيم نصر، الدكتور/ عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، السعودية.

٥٨- الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، تحقيق عادل العزازي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ / دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية.

٥٩- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدكتور/ طه عبد الرحمن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

٦٠- في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٦١- الكافية في الجدل، لأبي المعالي الجويني، تحقيق خليل منصور، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٢- الكشاف، للزمخشري، تحقيق مجموعة من الأساتذة، الطبعة الأولى، ١٤١٨/ ١٩٩٨م، مكتبة العبيكان، الرياض.

٦٣- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، دون ذكر لرقم الطبعة، أو تاريخها.

٦٤- محاورة بروتاجورس ترجمة الدكتور/عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، دون ذكر لرقم الطبعة.

٦٥- المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، الدكتور/ عبد الرحمن عميرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض.

٦٦- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، دار الشروق.

٦٧- المراء في الدين مفهومه وحكمه أسبابه وآثاره، الدكتور/محمد بن عبد العزيز العلي، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٦٨- مشكاة المصابيح، للتبريزي، تحقيق الشيخ الألباني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ /١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، بيروت.

٦٩- معالم التنزيل في التفسير والتأويل، الحسين بن مسعود البغوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، دون ذكر لرقم الطبعة.

٧٠- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، دون ذكر لرقم الطبعة.

٧١- المناظرة الأولى جمع علي الجوهري، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٧٢- مناظرة الهند الكبرى، رحمة الله الهندي، تحقيق الدكتور/ أحمد حجازي السقا، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م، مكتبة الإيمان، مصر.

٧٣- منحة القريب في الرد على عباد الصليب، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م، دار ثقيف، للنشر والتأليف، الرياض.

٧٤- منطق الحوار بين الأنا والآخر، الدكتور/ عقيل حسين عقيل، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.

٧٥- منهج الجدل والمناظرة، الدكتور /عثمان علي حسن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٠م، دارأشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٧٦- موسوعة أعلام الفلسفة، روني إيلي إلفا، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧٧- الموقف اليهودي والإسرائيلي من الحوار مع المسيحية والإسلام، الدكتور/ محمد خليفة حسن، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢م، دون ذكر لرقم الطبعة.

٧٨- موقف ماركس وأنجلز من الآداب العالمية، رمسيس عوض، مكتبة الأنجلو المصرية، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٧٩- الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، المستشار محمد عزت الطهطاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

٨٠- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، دون ذكر لرقم الطبعة.

٨١- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، مكتبة المعارف الرياض، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٨٢- وفيات الأعيان، لابن خلكان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، مكتب التحقيق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٨٣- الولاء والبراء في الإسلام، الدكتور/ محمد بن سعيد القحطاني، الطبعة الأولى، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٨٤- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، الدكتور/ رؤوف شلبي، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

٨٥- اليهود في القرآن، عفيف عبد الفتاح طبارة، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م، دار العلم للملايين، بيروت.

٨٦- اليهود والتحالف مع الأقوياء، الدكتور/ نعمان السامرائي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، قطر.

فهرس بحث الحوار مع أهل الكتاب : قواعده وموضوعاته